التذفيف

على فِكرِ

عَبْدِ اللهِ الجَرْبُوعِ وَمَنْ مَعَه

مِنَ اللَّفِيفِ

لفضيلة الشيخ

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الزُّعكري

كان الله في عونه

مكتبة دار مسجد الصحابة بالغيضة

التذفيف

على فكر

عبد الله الجربوع ومن معه
من اللفيف

التذفيف

على فكر

عبد الله الجربوع ومن معه

من اللفيف

الموقع الرسمي للشيخ حفظه الله تعالى

https://alzoukory.com.

https://t.me/A_lzoukory.

https://twitter.com/A_Alzoukory?s=08.

https://www.youtube.com/channel/UCK2Lx1fToSQco2hW3tdgzOg.

https://www.facebook.com/649918028352367.

https://chat.whatsapp.com/CA4yfZYa7om86EP4OtzAxq.

مكتبة
دار الصحابة بالغيضة

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

الطبعة الأولى

سلسلة الردود العلمية والرسائل المنهجية لفضيلة الشيخ

التذفيف

على فكر

عبد الله الجربوع ومن معه

من التفيف

لفضيلة الشيخ

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الزعكري الحجوري

حفظه الله تعالى

مكتبة دار مسجد الصحابة بالغيضة

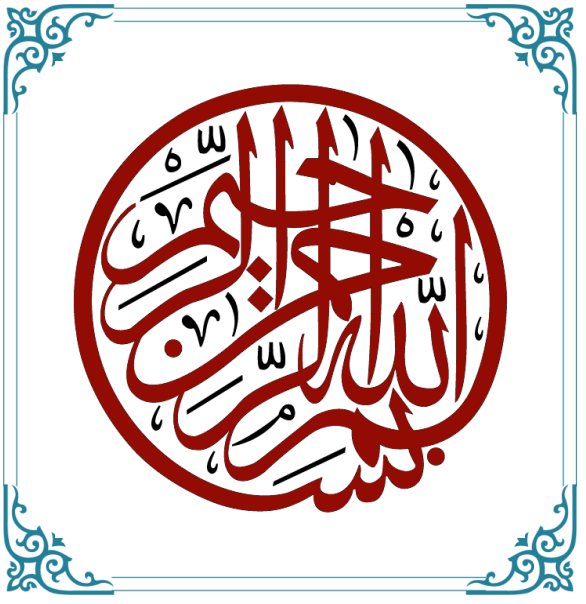
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا مزيدًا.

أما بعد:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد أذن للمؤمنين في الدفاع عن أنفسهم؛ لدفع ما اتهموا به، إن كانوا مظلومين.

حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج:٣٩].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه العزيز: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى:٤٠-٤١].

والصبر إن كان الكلام أو الفعل الذي تجاوز فيه صاحبه يتعلق بالشخص.

أما إن كان الكلام يتعلق بمنهج، أو عقيدة وطريقة؛ فلا بد من البيان، ولولا لم يكن إلا ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**على رسلكم إنها صفية**» متفق عليه.

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عُزَيْزٍ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: «إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي، وَلاَ أَخْبَرْتِنِي، فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ**» فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ، وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ[(١)].

ومن هذا الباب أحببت أن أكتب هذه الوريقات لبيان شدة استطالة عبد الله الجربوع، ومن إليه علىٰ أهل السنة السلفيين.

حتىٰ بلغ به الحال مع شدة طعنه في الشيخ الإمام المحدث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وشيخنا الإمام المحدث مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ، إلىٰ القول في الشيخ أبي بلال الحضرمي حفظه الله، أنه لا يصلىٰ خلفه، وأنه لا يعرف الإسلام، وأن إرجاءه أشد من إرجاء الجهم بن صفوان، وأنه ليس بعالم إلىٰ غير ذلك من التهم المبنية علىٰ الجور، والشيخ أبو بلال خالد بن عبود الحضرمي قائم علىٰ دار الحديث السلفية بمسجد أنور بالحامي سلفي العقيدة، أثري الطريقة عالم نبيل، وشيخ جليل نفع الله به الإسلام، والمسلمين، أسال الله لنا وله الثبات حتىٰ الممات.

ولن يكتف القوم بهذا، بل سينتقلون، ويتوصلون إلىٰ رمي طلاب العلم، ورمي من يدافع عنه، بمثل هذه التهم الجائرة.

بل قد رأينا من بعضهم لمز دعاة الحق في اليمن، بأنهم مرجئة، وبأنهم إخوان عباد القبور، وربما وجد في إطلاقاتهم: أننا لا نكفر المشركين.

تهمٌ وبهتٌ كله يدور حول تكفير دعاة الحق والهدىٰ، والعجب أنهم استخدموا القول بعدم العذر بالجهل إلىٰ تكفير السلفيين، لا تكفير الكافرين، والمشركين.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٨).

ومن هنا فقد عزمت هذا المبحث، وأسميته:

(التزفيف على ذكر عبد الله الجربوع من معه من اللفيف).

وبالله أستعين: علىٰ أمور الدنيا، والدين.

وكانت كتابة هذه الأسطر: في يوم الثلاثاء، الموافق لليوم السابع من شهر محرم الحرام، لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

والحمد لله رب العالمين.

أبو محمد

عبد الحميد بن يحيى الزُّعطري.

فصل بيان أن التوحيد هو أصل الدين

الذي أنزله الله في كتبه، وأرسل به رسله صلوات الله عليهم أجمعين.

فأصل الدين الذين دعا إليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقبل ذلك أنزله الله عَزَّوَجَلَّ في كتبه، وأرسل به رسله عليهم الصلاة والسلام هو التوحيد.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

ويقول الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥].

وجاء في صحيح الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من حديث عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»[١].

وفي الصحيحين: من حديث عبد الله بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ» [٢].

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ» [٣].

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ

---

(١) أخرجه الإمام ابن خزيمة في صحيحه (١٥٩)، والإمام ابن حبان في صحيحه (٦٥٦٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في التعليقات الحسان برقم (٦٥٢٨) وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٥٢٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢).

حَتَّىٰ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ».

فَقَالَ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ[(١)].

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ وهو طارق بن أشيم الأشجعي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ»**[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتاب الإيمان (ص٢٢٦) مبينًا شأن الإيمان:** "وهو أصل الدين، وبه يخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، ويفرق بين السعداء والأشقياء، ومن يوالي ومن يعادي، والدين كله تابع لهذا، وكل مسلم محتاج إلىٰ معرفة ذلك". اهـ

وقال الإمام ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٧):** " فَالتَّوْحِيدُ أَصْلُ الدِّينِ". اهـ

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وعبادة الله وحده لا شريك له، هي أصل الدين، وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب"[(٣)]. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٨٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣).

(٣) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ الجزء الأول) (ص: ٢٩٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل هذا لتحقيق التوحيد: الذي هو أصل الدين، ورأسه الذي لا يقبل الله عملًا إلا به، ويغفر لصاحبه، ولا يغفر لمن تركه [١]. اهـ

إلىٰ غير ذلك: من النقولات في الباب، فإن التوحيد هو حق الله علىٰ العبيد، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**» متفق عليه.

---

(١) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (ص: ٢٩٣).

فصل: فضل التوحيد

وهو الحق المفخم، والواجب المحتم، وقد قلت في كتابي: "فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلىٰ التوحيد"

إنَّ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ هو الدين العظيم الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب، ومهما تكلم المتكلم أو كتب الكاتب فلن يأتي بمثل ما حواه القرآن وسنة النَّبِي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفضائله كثيرة، منها:

الأولىٰ: أنه عبادة لرب العالمين ومؤدي إلىٰ مرضاته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

وهو رأس التقوىٰ إذ أنه كلمة الإخلاص، وكلمة التقوىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح:٢٦].

وكم في القرآن من آياتٍ بيناتٍ وأدلة واضحات تبين حال المتقين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ:٣١-٣٦]، علىٰ ما يأتي بيانه في آخر المبحث.

والثانية: أنه سبب الأمن المطلق، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢]، والظلم هنا الشرك علىٰ ما يأتي بيانه إن شاء الله.

والثالثة: أنه سبب للحياة السعيدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

وكل آية فيها عمل صالح فالتوحيد داخل فيه دخولًا أوليًا.

والرابعة: أنه سبب للتمكين والاستخلاف، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

والخامسة: أنه سبب لعصمة الدم، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣].

وقد ثبت من حديث ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ» أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

والسادسة: أنه سبب لحفظ المال، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النساء:٢٩].

وقد تقدم حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«... فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»**. أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

والسابعة: أنه سبب لرضا الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر:٧].

وقد ثبت عند مسلم في «الصحيح» (١٧١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَىٰ لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»**، ومعلوم أن ما رضيه الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يحبه ويثيب عليه.

الثامنة: أنه سبب للتقوىٰ والكرامة الدنيوية والأخروية، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة:٢١]، والتقوىٰ سبب الدرجات العلىٰ علىٰ ما تقدم ويأتي، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات:١٣].

التاسعة: أنه سبب للمغفرة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

وفي حديث **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».** أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وهو حديث صحيح.

العاشرة: أنه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومن عذاب القبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس:٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البينة:٧]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»** أخرجه مسلم (٢٦).

وَعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»** أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

وإن كانت عنده معاصي فيما دون الشرك فهو تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه،

وإن شاء عذبه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

الحادية عشرة: أنه سبب لبركة الأرزاق، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

وكم من أمم كانت في غاية من القلة والذلة فلما استقامت علىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ تغير حالها، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن هود: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود:٥٢].

وأول ما يدخل في الاستغفار تحقيق التوحيد وتجريده مما يشوبه من الشركيات.

الثانية عشرة: أنه سبب لتفريج الكرب، ولهذا جاء في قصة ذي النون عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه توسل إلىٰ الله بالتوحيد، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨]. **وفي الدعاء الذي أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، **قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **يَدْعُو عِنْدَ الكَرْبِ يَقُولُ:** «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ».

الثالثة عشرة: أنه أعظم حسنة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾ [البقرة:٨٢].

ويوضح ذلك حديث البطاقة: عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ» والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء».**

أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وهو حديث صحيح.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ عَلَيْهِ جُبَّةُ سِيجَانٍ، حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ - أَوْ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ - وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ»، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ فَقَالَ: «أَلَا أَرَىٰ عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ

أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ»، فَقُلْتُ، أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ، لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ» أخرجه الإمام أحمد (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، وهو حديث صحيح.

والرابعة عشرة: أنه أفضل ما يلهج به الإنسان، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ». أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٩٩)، وهو حديث صحيح.

الخامسة عشرة: أنَّ من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا

عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: «ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ»، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

السادسة عشرة: أنه ثباتٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].

السابعة عشرة: ومن فضله وجوب تقديمه في الدعوة وغيرها، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

وقد أجمع الرسل علىٰ وجوب تقديمه، وقصصهم في القرآن طافحة بذلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف:٥٩].

وهكذا هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لهم: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف:٦٥]. وجميع الرسل علىٰ هذا المنوال كما قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

الثامنة عشرة: أنه سبب لقبول العمل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]، بينما قال في الكفار: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣]، فلا يقبل الله من عامل عملًا ما لم يكن موحِّدًا. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**» أخرجه مسلم (٢١٤).

أي: إنه لم يكن موحِّدًا بل كان مشركًا منددًا ينكر البعث والنشور.

التاسعة عشرة: ويدل علىٰ فضل التوحيد: المنزلة الرفيعة لأهله عند الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة:١٠٠]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم:٣٥-٣٦].

عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» **قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ،**

قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا». أخرجه البخاري (٥٠٩١).

العشرون: ويدل علىٰ فضله: اتفاق الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ الدعوة إليه.

الحادية والعشرون: أن الله عَزَّوَجَلَّ شَرَع لإعلاء هذه الكلمة الجهاد، ولو لم تكن في المنزلة الرفيعة ما كان ثمنها إزهاق النفس التي هي أغلىٰ ما عند الإنسان، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة:١١١].

وفضائله كثيرة عند التفصيل لكن هذه إشارات، وإجمالات تكون طريقًا إلىٰ غيرها. فكل فضيلةٍ للإسلام، والإيمان، والإحسان، في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي فضيلة للتوحيد، ولو سردت كل ما يتعلق بذلك لخرجت عن المقصود، ولطال الكتاب، واعلم أنَّ التوحيد يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، فكل عملٍ أمر الله عَزَّوَجَلَّ به ففعله مع الإخلاص توحيد لله عَزَّوَجَلَّ، وكل عملٍ نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فتركه مع الإخلاص توحيد كذلك، فإذا حققت هذا وعلمته عرفت أن الدين كله عائد إلىٰ التوحيد[1].

---

(١) أنتهىٰ من فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلىٰ التوحيد [١٢١-١٢٨].

فصل خطر الشرك

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ الشرك والمشركين بأقبح الأوصاف وما ذلك إلا لما في الشرك من فساد فهو الذنب العظيم الذي لا يغفره الله ولا يرضاه، وذلك لأن فيه من التعدي على حق الله عَزَّوَجَلَّ ما لا يجوز عقلًا ولا شرعًا ولا فطرةً ولا قدرًا ولذلك وصفه الله عَزَّوَجَلَّ بعدة أوصاف، منها:

الأول: أنه الذنب العظيم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان:١٣]، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟**»، قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**» أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

الثاني: أنه الذنب الذي لا يغفره الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء:٤٨].

الثالث: أنه يخلد صاحبه في النار، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف:٥٠-٥١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠].

الرابع: أنه سبب لحياة الضنك، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤]. وأشد أنواع الإعراض، إعراض المشركين والكافرين.

الخامس: أنه محبط لجميع الأعمال الصالحات إن وجدت، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥]، وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام:٨٨].

السادس: ووصف أصحابه بأنهم لا يعقلون في موطن كثيرة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة:١٠٣].

السابع: ووصف أصحابه بأنهم لا يفقهون في عدة آيات، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون:٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحشر:١٣].

الثامن: ووصف أصحابه بأنهم لا يعلمون في عدة آيات، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة:١٠٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام:٣٧]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة:٦].

ومن هذه حاله فهو أجهل الناس بربه وبنفسه على ما يأتي.

وهو المذموم المخذول، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء:٢٢].

التاسع: أنه سبب للبعد والطرد من رحمة الله، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة:٧٨].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف:٤٤-٤٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾ [هود:١٨-١٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۡ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١﴾ [آل عمران:٦١].

العاشر: سمى الله أصحاب الشرك بالكاذبين والمكذبين، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [الزمر:٣٢].

وهو المدحور الملوم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾ [الإسراء:٣٩].

الحادي عشر: سمى الله أصحابه بالمتكبرين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥﴾ [الصافات:٣٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة:٣٤]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ [الزمر:٦٠].

والكِبَر بطر الحق كما صح من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**» أخرجه مسلم (٩١).

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «...**قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا**

الْكِبْرُ؟» قَالَ: «**سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ**» أخرجه الإمام أحمد (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، وهو حديث صحيح.

الثاني عشر: سمى الله أصحابه بالمعرضين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة:٢٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر:٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأنعام:٤].

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**» أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

الثالث عشر: أخبر الله أنهم غافلون، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [يونس:٧]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [النحل:١٠٨]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء:١].

الرابع عشر: شبههم الله بالأنعام بل هم أضلُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤].

الخامس عشر: صاحب الشرك حيران تتقاذفه الشبهات والشهوات، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام:٧١].

السادس عشر: المشركون صمّ بكم عمي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١]، وهذا وصف لهم في آيات كثيرة أنهم صم عن سماع الحق، وبكم عن النطق به، وعمي عن معرفته، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [فصلت:٥]، وهم لا يعقلونه مع علمهم بكثير من أمور الدنيا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم:٧].

السابع عشر: طبع الله على قلوبهم بسبب إعراضهم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ [الأعراف:١٠١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥﴾ [النساء:١٥٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٩٣﴾ [التوبة:٩٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٩﴾ [الروم:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر:٣٥].

ووصفت قلوبهم بأقبح الصفات، منها: أنها غلف، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥﴾ [النساء:١٥٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ [البقرة:٨٨]، وأنها مريضة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة:١٠]، وأنها تعمى، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج:٤٦]، وأنها لا تفقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ [الأنعام:٢٥]، وعليها أقفال، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد:٢٤]، وأنها تشمئز من سماع الحق، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزمر:٤٥]، إلى غير ذلك.

الثامن عشر: هم الضالُّون والمغضوب عليهم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة:٧]، وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ

وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ [الفتح:٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ [النساء:١٦٧]، في آيات كثيرة.

التاسع عشر: هم الكافرون، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة:٧٢-٧٦]، وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة:١]، في آيات كثيرات.

العشرون: سماهم الله بالمشركين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:٣٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة:١٠٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام:١٣٧]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم:٣١-٣٢]، في آيات كثيرات.

الواحد والعشرون: هم شرّ البرية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾[البينة:٦].

وكم لهم من الأوصاف الذميمة في كتاب ربنا عَزَّوَجَلَّ وسنة نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيانًا لضلالهم وشرِّهم وحالهم في الدنيا والآخرة، فلا أشرُّ منهم ولا أضلُّ ولا أكذبُ وأظلمُ، فقد ضيعوا حق الله عَزَّوَجَلَّ ونسوه، فهم لما سواه أنسى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة:٦٧]، وهم الأشقياء دنيا وأخرى، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى:١٠-١٣]، وهم أصحاب العسر، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل:١٠-١١].

فصل: من لازم توحيد الله عَزَّوَجَلَّ تكفير من خالفه، ومن ناقضه.

كما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في كتابه العزيز مخبراً عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وكما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في كتابه العزيز:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة:٤].

وكما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في كتابه العزيز: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وكما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟

حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤].

وكما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه العزيز: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقد ذكر الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في نواقض الإسلام.

"من لم يكفّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر".

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشفا (٢/ ٦٠٣): "وَقَائِلُ هَذَا كُلِّهِ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ عَلَىٰ كُفْرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَىٰ وَالْيَهُودِ، وَكُلَّ مَنْ فَارَقَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ وَقَفَ فِي تَكْفِيرِهِمْ، أَوْ شَكَّ". اهـ

لأن عدم تكفير الكافرين: تكذيب لخبر الله عَزَّوَجَلَّ، وخبر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء:١٢٢].

فصل: بيان بما يكون الكفر.

من طريقة أهل السنة، وعقيدتهم أن الكفر يكون بالقول: كسب الله عَزَّوَجَلَّ، وسب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والاستهزاء بالدين، أو نحو ذلك.

ويكون بالفعل: كالسجود لغير الله عَزَّوَجَلَّ، من قبر، أو من حجر، أو وثن، أو صنم، أو شجر، أو نحو ذلك.

ويكون الكفر بالاعتقاد: كالخوف من الجن خوف السر، والاستغاثة بهم.

وكذلك: الخوف من المقبورين: والتوكل، والاعتماد عليهم، ونحو ذلك.

بيان أنواع الكفر:

واعلم أن الكفر أنواع:

الثاني: كفر الإعراض. الثالث: كفر الإباء. الرابع: كفر الاستكبار.

الخامس: كفر النفاق الاعتقادي. السادس: كفر التكذيب.

وغير ذلك: مما هو مذكور في موطنه.

وفي نفس الباب: نرىٰ التكفير بالعين، والوصف؛ كما هو معلوم بضوابطه كطريقة أهل العلم: سلفًا وخلفًا حتىٰ يعلم القاصي والداني: أن رمي من هذا حاله بالإرجاء قول بعيد، قائم علىٰ التعسف والظلم والبهت، وصاحبه مفضوح والله الموفق.

بيان شرح قاعدة: "من لم يكفر الكافر، أو يشك في كفره؛ فهو كافر

ننقل من فتاوىٰ نور علىٰ الدرب لسماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ بيان ذلك حيث قال (٤/ ١١٨-١٢٤) : "لقد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة علىٰ وجوب البراءة من المشركين واعتقاد كفرهم، متىٰ علم المؤمن ذلك واتضح له كفرهم وضلالهم.

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العظيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

لعلهم يرجعون إليها في تكفير المشركين والبراءة منهم، والإيمان بأن الله هو المعبود بالحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة:٤].

فهذا هو دين إبراهيم، وملة إبراهيم والأنبياء جميعا، البراءة من عابدي غير الله واعتقاد كفرهم وضلالهم، حتىٰ يؤمنوا بالله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالواجب علىٰ المسلم أن يتبرأ من عابدي غير الله، وأن يعتقد كفرهم وضلالهم؛ حتىٰ يؤمنوا بالله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما حكىٰ الله: عن إبراهيم والأنبياء جميعًا، وهكذا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والكفر بالطاغوت: معناه البراءة من عبادة غير الله، واعتقاد بطلانها، وهذا الواجب علىٰ كل مكلف، أن يعبد الله وحده، وأن يؤمن به ويعتقد أنه سبحانه هو المستحق للعبادة، وأن ما عبده الناس من دون الله من: أصنام أو أشجار أو أحجار، أو أموات أو جن أو ملائكة أو كواكب أو غير ذلك"، أنه معبود بالباطل.

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢] الآية.

فالمؤمن: إذا علم أن فلانا يعبد غير الله وجب عليه البراءة منه، واعتقاد بطلان ما هو عليه وتكفيره بذلك، إذا كان ممن بلغته الحجة، ممن كان بين المسلمين أو علم أنه بلغته الحجة (١).

كما قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [سورة الأنعام:١٩] [الأنعام: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: أوحىٰ القرآن إلىٰ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وجعله بلاغًا للناس، فمن بلغه القرآن أو السنة، ولم يرجع عن كفره وضلاله وجب اعتقاد بطلان ما هو عليه وكفره.

---

(١) انظر وفقك الله إلىٰ تكرار ابن باز رحمه الله لهذه العبارة، وهي بلوغ الحجة الرسالية لمن وقع في الشرك، أو كفر ممن ينتسب إلىٰ الإسلام، وسيأتي قوله في هذه المسألة.

ومنه هذا الحديث الصحيح: يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار» (١).

فبين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أنه متىٰ بلغه ما بعث به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم مات ولم يؤمن بذلك صار من أهل النار.

يعني: صار كافرا من أهل النار، لكونه لم يستجب لما بلغه عن الله وعن رسوله.

وهذا هو معنىٰ قوله سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وفي الصحيح، صحيح مسلم:

عن طارق بن أشيم -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه» (٢).

وفي لفظ آخر: «من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه» (٣).

فجعل تحريم الدم والمال مربوطا بقوله: لا إله إلا الله، وبتوحيده الله وكفره بالطاغوت، فلا يحرم ماله ودمه حتىٰ يوحد الله، وحتىٰ يكفر بالطاغوت، يعني حتىٰ يكفر بعبادة غير الله.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسند المكيين، حديث طارق بن أشيم الأشجعي والد أبي مالك، برقم (١٥٤٤٨).

الطاغوت: كل ما عبد من دون الله، يعني حتىٰ يكفر بعبادة غير الله، ويتبرأ منها ويعتقد بطلانها.

وهو معنىٰ الآية الكريمة السابقة: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والذي يعلم الكافر وما هو عليه من الباطل، ثم لا يكفره أو يشك في كفره.

معناه: أنه مكذب لله ولرسوله غير مؤمن بما حكم الله عليه به من الكفر، فاليهود والنصارىٰ كفار بنص القرآن ونص السنة، فالواجب علىٰ المكلفين من المسلمين: اعتقاد كفرهم وضلالهم، ومن لم يكفرهم أو شك في كفرهم يكون مثلهم، لأنه مكذب لله ولرسوله، شاك فيما أخبر الله به ورسوله.

وهكذا من شك في الآخرة، بأن شك هل هناك جنة ولا ما هناك جنة؟ هل هناك نار ولا ما هناك نار؟ هل هناك بعث ولا ما هناك بعث؟ يعني عنده شك، هل هناك بعث ونشور؟ هل يبعث الله الموتىٰ؟ هل هناك جنة؟ هل هناك نار؟ ما عنده إيمان ويقين، بل عنده شك، هذا يكون كافرا، حتىٰ يؤمن بالبعث والنشور وبالجنة والنار، وأن الله أعد الجنة للمتقين المؤمنين، وأعد النار للكافرين لا بد من إيمانه بهذا بإجماع المسلمين، وهكذا من شك في أن الله يستحق العبادة؛ يكون كافرا بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله سبحانه، يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

ويقول سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

والآيات في هذا كثيرة.

وهكذا: من شك في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: لا أعلم أن محمدا رسول الله، أو ما هو برسول الله، عندي شك يكون حكمه حكم من أنكر رسالته، أو كذب به، يكون كافرًا؛ حتىٰ يؤمن يقينا أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهكذا المرسلون الذين بينهم الله، كنوح وهود وصالح وموسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم ونحوهم، من شك في رسالتهم أو كذبهم يكون كافرا، نسأل الله العافية.

وهكذا من استهزأ بالدين، ومن سب الدين أو استهزأ بالحدود يكون كافرا كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة:٦٥]، والذي يسب الدين ويسب الرسول مثل المستهزئ، أو أقبح وأكفر، أما من ترك الصلاة ولم يجحد وجوبها: فهذا فيه خلاف بين العلماء، منهم من يرىٰ تكفيره وهو الصواب؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[(١)]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند الأنصار، من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه، برقم (٢٢٤٢٨)، وأخرجه الإمام الترمذي برقم (٢٦٢١)، والإمام النسائي برقم (٤٦٣)، والإمام ابن ماجه برقم (١٠٧٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وقال: "صحيح". وصححه الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند برقم (١٧١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وقال آخرون من أهل العلم: إنه لا يكفر بذلك إذا كان لا يجحد وجوبها، بل يكون عاصيًا، ويكون كافرًا كفرًا دون كفر، وشركًا دون شرك، لكن لا يكون كافرًا كفرًا أكبر.

هذا قاله: جمع من أهل العلم.

ومن شك في كفر هذا: لا يكون كافرًا؛ لأجل الخلاف الذي فيه.

من شك في كفر تارك الصلاة ولم يجحد وجوبها لا يكون كافرا، بل هذا محل اجتهاد بين أهل العلم، فمن عرف بالأدلة الشرعية أنه كافر وجب عليه تكفيره، ومن شك في ذلك ولم تظهر له الأدلة، ورأىٰ أنه لا يكفر كفرا أكبر بل كفرا أصغر، هذا معذور في اجتهاده ولا يكون كافرا بذلك.

أما من جحد وجوبها، وقال: الصلاة غير واجبة! هذا كافر عند الجميع، ومن شك في كفره فهو كافر نعوذ بالله، وهكذا من قال: إن الزكاة لا تجب، وجحد وجوبها، أو صيام رمضان جحد وجوبه، أو قال: إن الحج مع الاستطاعة لا يجب.

هذا يكفر بذلك؛ لأنه مكذب لله ولرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومكذب لإجماع المسلمين.

فيكون كافرا، ومن شك في كفره فهو كافر بعد ما يُبين له الدليل، ويوضح له الأمر، يكون كافرا بذلك، لكونه كذب الله ورسوله، وكذب إجماع المسلمين.

وهذه أمور عظيمة يجب علىٰ طالب العلم التثبت فيها، وعدم العجلة فيها، حتىٰ يكون علىٰ بينة وعلىٰ بصيرة، وهكذا العامة يجب عليهم أن يتثبتوا وأن لا يقدموا علىٰ شيء حتىٰ يسألوا أهل العلم، وحتىٰ يتبصروا؛ لأن هذه المسائل عظيمة، مسائل تكفير ليست مسائل خفيفة، بل مسائل عظيمة.

فالواجب علىٰ أهل العلم وعلىٰ طلبة العلم: أن يوضحوها للناس بالأدلة الشرعية.

والواجب علىٰ من أشكل عليه شيء: ألا يعجل، وأن ينظر في الأدلة، وأن يسأل أهل العلم حتىٰ يكون علىٰ بصيرة، وعلىٰ بينة في ذلك، رزق الله الجميع التوفيق والهداية والعلم النافع والعمل الصالح". اهـ

لا تكفير ولا تبديع، ولا تفسيق في مسائل الخلاف التي لها حظ من النظر.

وانظر إلىٰ قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في مسألة تارك الصلاة؛ لأنها مسألة اجتهادية، فمن رأىٰ: أنه كافر؛ كفره.

ومن رأىٰ: أنه ليس بكافر؛ حكم عليه بالفسوق، ونحو ذلك.

ولم يكفر العلماء رحمة الله عليهم: بعضهم بعضًا في هذه المسألة.

بل لم يتهم العلماء من لم يكفر تارك الصلاة؛ أنه من أهل الإرجاء، ولا بأن من كفر تارك الصلاة: أنه خارجي، فالمجاوزات هذه: تضر، ولا تنفع، فاحذرها أيها السلفي علىٰ نفسك ولازم الإنصاف، فإنك أحوج ما تكون إليه، وما نصر الحق بمثله

وأما المسألة: التي نحن بصددها، والتي من أجلها أقام عبد الله الجربوع ومن إليه الدنيا، ولم يقعدوها من زمن قديم، علىٰ علماء أجلاء، وعلىٰ دعاة فضلاء، وكان من أجل هؤلاء العلماء رحمة الله عليهم: الإمام الألباني رحمة الله عليه، إمام أهل السنة والجماعة في زمنه، بنصوص أئمة السنة كالإمام ابن باز، والإمام ابن عثيمين، والإمام الوادعي، وغيرهم من أهل العلم، فقد عرفوا للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ قدره، ومنزلته بين أهل العلم.

وهو عند هؤلاء الشلة: من المرجئة؛ بل هو: أشد إرجاءً من الجهم ونحوه.

وعند بعضهم: لم يعرف الإسلام، وأن الفساد العريض والإرجاء الذي وقع في الشباب المسلم، كان بسببه.

مع أن الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: قد أبان مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان، وحقق، وصنف، ودقق.

وكذلك: أبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مذهب المرجئة، وحذر منه؛ ولكنه البغي علىٰ أهل العلم الناصحين العالمين.

وهكذا: طعنوا في شيخنا الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل قد تكون بعضها زلة، وبعضها اجتهادية، ومع ذلك يطعنون في سلفيته، وأنه ما عرف مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم إلىٰ نحو غير ذلك من الأقوال البائرة، وطعنوا في فضيلة الشيخ العلامة محمد بن أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا: الشيخ الجليل، والعلم النبيل، الذي يبغضه الحزبيون وقاموا عليه باليد، وبالقول؛ لكن لا تتعجب من هذه الحملة الشرسة علىٰ أئمة الهدىٰ، ومصابيح الدُجىٰ، وعلىٰ علماء السنة والجماعة، فهو طريق لأهل الضلال قديمًا وحديثًا، فمن طريقة أهل البدعة الوقيعة في أهل السنة.

فصل بيان خيانة عبد الله الجربوع

وفي المقابل يشير هذه الرجل إلىٰ بعض كتب سيد قطب، وإلىٰ بعض كتب محمد قطب، وإلىٰ بعض كتب أبي الحسن الندوي، وإلىٰ كتاب لعبد المجيد الزنداني.

وفي نفس الوقت: ينقل عن السيد قطب ويظهر الترحم عليه.

بل: ويوازن في جرحه؛ وينقل أنه أديب، وأنه كذا وكذا.

حيث قال في كتابه: "أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة" (١/ ١٠٢):

"الكاتب المفكر الأديب، سيد قطب، ولد عام ١٩٠٦م، في إحدىٰ قرىٰ محافظة أسيوط بمصر، عاش حياة قلقة مضطربة، وتنقل في المدارس الأدبية، ثم استقر به المطاف علىٰ التأليف والدراسات الإسلامية بمنظور فكري أدبي.

من مؤلفاته: في ظلال القرآن، وخصائص التصور الإسلامي، ومعالم في الطريق.. وغيرها، وقد تضمنت تلك الدراسات بعض البحوث الجيدة في مجال التصوير الأدبي، ونقد الحضارة الغربية المادية، والفكرة الشيوعية، والنظم المالية، وقد نقلت قطوفاً منها في هذا الكتاب؛ كما وقع -بسبب ضعف حصيلته العلمية، وجهله بمنهج السلف الصالح في العقيدة والحديث والأصول، واعتماده علىٰ المنهج الفكري الأدبي في فهم القرآن ومسائل الدين- في أخطاء كثيرة.

قال الدكتور يوسف القرضاوي، عن سيد قطب وأخطائه: "ولكن المسألة هنا تتعلق باتجاهات، وهذا اتجاه ... وهذا الاتجاه يجب أن يُقوَّم، ولا نستطيع أن نهمش

إلا إذا كانت المسألة جزئية، وإنما هو صاحب أفكار متسلسلة مرتبط بعضها ببعض، الأمة الإسلامية انقطعت من الوجود، وهو له رأيه المتطرف في مسألة بني أمية وعثمان، وغيره. ورد عليه الأستاذ محمود شاكر من قديم في مسألة الصحابة، ولا تسبوا أصحابي، ورأيه في المجتمع الإسلامي علىٰ طوال التاريخ [حيث يرىٰ أنه انقطع من عهد الخلفاء الراشدين] ، ورأيه في المجتمع الحالي، وأنه لا يوجد علىٰ وجه الأرض مجتمع مسلم قط، في أي بلد من البلاد، حتىٰ المجتمع الذي يعلن ارتباطه بالإسلام، ويقول: إن المجتمع جاهلي، وهذا في الظلال في عشرات المواضع.

ودعونا نتكلم بصراحة: إن من حق الأجيال المسلمة أن تعرف هذا الأمر علىٰ حقيقته، ولقد كنت لا أعرف هذا! ...

ولقد اضطررت أن أرد علىٰ هذا الكلام، وذلك من سنين طويلة

إن سيد قطب قدم الكثير للفكر الإسلامي ... ولهذا: فمن الإنصاف لسيد قطب، ومن الإنصاف للفكر الإسلامي، ومن الإنصاف للحركة الإسلامية، ومن الإنصاف للمسلمين، ومن الإنصاف للإسلام نفسه أن نُقوّم فكر سيد الآن ... يمكننا أن نراجع تفكيره، وإنتاجه، ونقومه بميزان الكتاب والسنة، وبميزان الأصول عندنا، ونسأل الله أن يغفر له ويرحمه".

كما دعا إلىٰ تقويم فكر وكتب سيد قطب كل من: محمد سعيد البوطي، وجعفر شيخ إدريس، وغيرهم.

انظر: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، البحرين، من ص٥٤٧ إلىٰ٥٦٠، وأول من استجاب للدعوات التي تنادي بتقويم فكره وبيان أخطائه الشيخ عبد الله ابن

محمد الدويش -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتابه: "المورد الزلال في التنبيه علىٰ أخطاء الظلال" ثم تلاه الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي في كتابه: "أضواء إسلامية علىٰ عقيدة سيد قطب وفكره" وكتابه:" مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " قتل سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٩٦٦م الموافق ١٣٨٦هـ."اهـ

وقال في آخر كتاب الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (٢/ ٦٣٢): "وهذا المجال واسع جداً، وإنما ميدانه ما يعرف بالثقافة الإسلامية حيث اجتهد بعض الكتاب والمفكرين في بيان بعض هذه الجوانب مثل:

"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" لأبي الحسن الندوي، و"المستقبل لهذا الدين" و"الإسلام ومشكلات الحضارة" لسيد قطب، و "جاهلية القرن العشرين" لمحمد قطب، و "الإيمان والحياة" ليوسف القرضاوي، و "نقد أصول الشيوعية" لصالح بن سعد اللحيدان.. ونحوها.

مع ملاحظة: أنه ليس كل ما في تلك الكتب مسلماً لأصحابها، سالماً من الخطأ، وإنما المراد الاستفادة مما فيها من بحوث جيدة في هذا المجال.

ويستفاد مما في الكتاب الأخير: "نقد أصول الشيوعية" من إفادة حول أهمية نقد الكتب المؤلفة في الفكر والثقافة الإسلامية، وتنقيتها مما فيها من أخطاء ومزالق. وضرورة أن يكتب في هذه المطالب الذين تشبعوا بالعلم الشرعي، ومعرفة ما كان عليه السلف الصالح، لتكون الدراسات والحلول أكثر نضجاً، وأبعد عن الزلل، وقد ذكرت فيما يأتي من المتن مقتطفات من هذا الكتاب لأهميتها". اهـ

وأما قوله: (أنه ليس كل ما في تلك الكتب مسلمـًا لأصحابها، سالمـًا من الخطأ، وإنما المراد الاستفادة مما فيها من بحوث جيدة في هذا المجال)فهذا الكلام لا يدفع عنه الخيانة التي أرتكبها بعزوه إلىٰ هذه الكتب، فما أدري العامي بأخطائهم حتىٰ تذكر له ملاحظة مجملة؛ لكن: نخشىٰ أن يكون تحت الأكمة ما تحتها، ونخشىٰ أن يكون إنما تستر بهذه المسألة للطعن في حملة السنة النبوية، وهو في حقيقة أمره سروري، أو قطبي؛ وإن أظهر البراءة منهم.

ويقول: بينت الكلام عليهم.

نقول له: ما هو الداعي إلىٰ النقل عنهم، والإحالة إلىٰ كتبهم، فلا بد من توبة نصوح يصدع بها الجربوع، ويسمع بها القاصي والداني، كما نصح بكتبهم، وكما نقل عنهم مقرًا لهم في مواطن، وهو والله يستطيع أن يأتي بأحاديث فضلًا أن ينقل كلامًا لأهل العلم السلفيين لتدعيم ما ذكره وقرره، ولا يحتاج إلىٰ قول سيد قطب، وإلىٰ غير ذلك من الأقوال.

لكن أبين لكم أن الرجل توجه إلىٰ الطعن في علماء أهل السنة وأئمتها، ولا سيما الإمام الألباني، والإمام الوادعي رحمة الله عليهم، ممن نفع الله عَزَّوَجَلَّ بهم: في أقاصي البلاد، وفي أقاربها، وهكذا يلمزون إن لم يكن هو، من تحته من لفيفه، في الإمام العثيمين رحمة الله عليه، وفي من لم يوافقهم علىٰ ما هم عليه.

السبب الداعي إلى الرد على الجربوع

ونحن إذ نردُ عليه ليس في مسألة العذر بالجهل، وعدم العذر بالجهل إنما نرد البغي، وإلا فليعتقد ما يعتقد من أقوال أهل السنة والجماعة، فالإمام ابن باز رحمة الله عليه: كان يصرح أنه لا يعذر، ومع ذلك ترىٰ في بعض المواطن أنه يشترط قيام الحجة الرسالية، ونحوها مما ندندن حوله، والإمام العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في مواطن كثيرة يذكر الخلاف بين أهل العلم في ذلك، ويصدع به، ويبينه، ومع ذلك ما تكلم أحد منهم في صاحبه، ولا طعن فيه، ولا حذر منه، ولا قال: بأنه جهمي، أو بأنه مرجئي، ولا بأنه ما عرف أصل الإسلام.

فالبغي الذي سلكه الجربوع، ومن إليه لابد أن يرد.

وكذلك يُعرف طلاب العلم بهذه المسألة؛ حتىٰ لا يلتبس هذا الأمر عليهم؛ لأن بعضهم إذا رأىٰ شيئًا ظنه علمًا، وقد يكون ليس كذلك، وللعلماء رحمة الله عليهم: كلام كثير في هذه المسألة، وتفاصيل كثيرة ترىٰ بعضها فيما يأتي إن كنت صاحب إنصاف، وكم قد اختلف أهل العلم رحمة الله عليهم: في مسائل علميات، وفي مسائل عمليات، إلىٰ غير ذلك، ولم يبدع بعضهم بعضًا، ولم يفسق بعضهم بعضًا، فعلينا أن نأخذ بطريقهم، ولنسر علىٰ سيرهم.

فصل: أهم أدلة العذر بالجهل من الكتاب والسنة.

أولًا: من القرآن الكريم:

قال الله جل جلاله في كتابه الكريم:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء:١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥﴾ [التوبة:١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [المائدة:١١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف:١٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [النساء:١٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤﴾ [طه:١٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [الزمر:٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة:١٩].

وغيرها من الآيات الكريمة أتقصرنا علىٰ أهمها.

📖 ثانيًا: من السنة النبوية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَىٰ بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ – أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ – فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ**» متفق عليه.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» رواه الترمذي (٢١٨٠).

وعنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّىٰ لَا يُدْرَىٰ مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَىٰ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ**

نَقُولُهَا» فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا» رواه الترمذي (٤٠٤٩).

عن عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ قَالَ: «نَعَمْ» رواه مسلم (٩٧٤).

حديث الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا» رواه أحمد (١٦٣٠١).

بيان كلام أهل العلم رحمة اللّه عليهم في مسألة العذر بالجهل

معلوم لدىٰ من شم العلم والفقه كثرة المسائل التي اختلف فيها أهل العلم قديمًا وحديثًا، وكان موقفهم في ما بينهم، الموقف المشرف الذي يرضي الرحمن، ويغيظ الشيطان فيبين كل منهم الحق الذي يعتقده بالحجة والبرهان من غير تعسف، ومن هذه المسائل (مسألة العذر بالجهل) منذ ظهر الكلام فيها والتفريع في شأنها لم نر من مبدع لغيره من أهل العلم، حتىٰ نبتت نابتة الهمج الرعاع، فوقعوا في من يخالفهم بالزور والبهتان، والله المستعان.

وأقوال أهل العلم فيها علىٰ التالي:

واختلف العلماء في العذر بالجهل لمن يدين بدين الإسلام إلىٰ أقوال:

القول الأول: أنه لا يُعذر أحد بالجهل مطلقًا في التوحيد ممن فعل الكفر والشرك؛ فهو كافر سواء في ذلك: بلغته الحجة، أم لم تبلغه الحجة، وأن فاعل الشرك الأكبر عن علم، أو عن جهل مشرك مطلقًا.

وقد: نقل عليه الإجماع، ولا إجماع عند التحقيق.

القول الثاني: أن من وقع في الكفر، أو الشرك، وهو ممن يقول: "لا إله إلا الله"، وممن ظاهره الإسلام؛ فهنا ينظر في حاله.

فإن كان جاهلًا، ولم يبلغه العلم، ولا يعلم أن هذا الأمر الذي وقع فيه كفر، أو شرك؛ فهذا يعذر بالجهل؛ حتىٰ تقوم عليه الحجة الرسالية، وقد: نقل عليه الإجماع أيضًا، ولا إجماع عند التحقيق.

القول الثالث: عدم العذر في الدنيا، ويعذرون في الآخرة.

ويكون: حكمه حكم أهل الفترة بحيث: أنه يُمتحن يوم القيامة فإما أن يطيع فيكون مع أهل الجنة، وإما أن يعصي فيكون مع أهل النار.

فقد أخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسنده: من حديث الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا**»[(١)].

وجاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، مِثْلَ هَذَا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: «فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا»[(٢)].

ومنهم من قال: بأنه لا يُسمىٰ كافرًا أبدًا، بل هو من أهل الإسلام، وتجري عليه أحكام الإسلام، في الدنيا، والآخرة ما دام جاهلًا لم يبلغه العلم، والدعوة، وسيأتي معنا إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ: كلام أهل العلم مما يوضح هذه المسألة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٣٠١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم (٨٨١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٣٠٢)، وهو أيضًا في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤٥٣).

قال الإمام العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في (تفسير سورة الأنعام / ٣٩):**

"**الفائدة الثانية**: أن هذا الحكم لمن قامت عليه الحجة بمجيء الحق إليه، وأما من لم يعرف الحق فإنه علىٰ قسمين:

الأول: تارة يدين بدين الحق؛ لكنه لا يعرفه.

فيصلي، ويزكي، ويصوم، ويحج، لكن يستغيث بالأموات، هذا نقول إننا نحكم بإسلامه إذا لم تقم عليه الحجة.

وتارة يدين بدين الباطل، أو لا ينتسب بدين الحق؛ فهو لا يدين بدين الإسلام أصلًا، ولم تبلغه الحجة، ولم يدرِ أنه علىٰ ضلاله، لكنه يدين بغير دين الإسلام؛ فهذا نعامله بأنه كافر.

ولهذا لو مات أحد الآن: لم تبلغه الدعوة من غير المسلمين؛ فإننا لا نصلي عليه، ولا نترحم عليه؛ لأنه يدين بدين غير الإسلام.

وأما في الآخرة: فإن أمره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ولو كان مسلمًا: يدين بدين الإسلام.

ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة؛ لكنه يأتي شركًا أكبر، لا يدري أنه شرك أكبر؛ فهذا نعامله معاملة المسلم: "نغسله، ونكفنه، ونصلي عليه، وندفنه معنا ما دام أنه لم تقم عليه الحجة". اهـ

وجاء في الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٢٣٩-٢٤٠):

وسئل أيضًا: الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمهما الله تعالىٰ- عن حال من صدر منه كفر من غير قصد منه بل هو جاهل، هل يعذر، سواء كان قولا، أو فعلا، أو توسلا؟

فأجاب: إذا فعل الإنسان الذي يؤمن بالله ورسوله، ما يكون فعله كفرًا، أو اعتقاده كفرًا، جهلًا منه بما بعث الله به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا لا يكون عندنا كافرًا، ولا نحكم عليه بالكفر حتىٰ تقوم عليه الحجة الرسالية، التي يكفر من خالفها.

فإذا قامت عليه الحجة: وبين له ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصر علىٰ فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه، فهذا هو الذي يكفر، وذلك لأن الكفر: إما يكون بمخالفة كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا مجمع عليه بين العلماء في الجملة، واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥].

وبقوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧١].

إلىٰ قوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١]، واستدلوا أيضا: بما ثبت في الصحيحين والسنن، وغيرها من كتب الإسلام:

من حديث حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن رجلا ممن كان قبلكم، قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم ذروا نصفي في البر، ونصفي في البحر؛ فو الله لئن قدر الله علي، ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين. فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر الله البر فجمع ما فيه، ثم قال له: كن، فإذا الرجل قائم. قال الله: ما حملك علىٰ ذلك؟ قال خشيتك ومخافتك، فما تلافاه أن رحمه**» [(١)].

فهذا الرجل اعتقد أنه إذا فعل به ذلك، لا يقدر الله علىٰ بعثه، جهلا منه لا كفرا ولا عنادا، فشك في قدرة الله علىٰ بعثه، ومع هذا غفر له ورحمه، وكل من بلغه القرآن، فقد

---

(١) البخاري: التوحيد (٧٥٠٦) ، ومسلم: التوبة (٢٧٥٦) ، والنسائي: الجنائز (٢٠٧٩) ، وابن ماجه: الزهد (٤٢٥٥) ، وأحمد (٢/ ٢٦٩، ٢/ ٣٠٤) ، ومالك: الجنائز (٥٦٨) .

قامت عليه الحجة بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن الجاهل يحتاج إلىٰ من يعرفه بذلك من أهل العلم، والله أعلم". اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (١٣/ ٤٠٧):

وَأخرج بن أَبِي حَاتِمٍ فِي مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ: عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقُولُ: "لِلَّهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ لَا يَسَعُ أَحَدًا رَدُّهَا، وَمَنْ خَالَفَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ، وَأَمَّا قَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ: فَإِنَّهُ يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ بِالْعَقْلِ، وَلَا الرُّؤْيَةِ، وَالْفِكْرِ؛ فَنُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَنَنْفِي عَنْهُ التَّشْبِيهَ، كَمَا نَفَىٰ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١]. اهـ

وهذا نص صحيح من الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يبين ما نحن بصدده، والشافعي من اتباع التابعين، ومن الأئمة المهتدين.

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فأقواله في هذا الباب كثيرة.

منها: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٧١-٣٧٢): "مَا ثَبَتَ قُبْحُهُ مِنْ الْبِدَعِ وَغَيْرِ الْبِدَعِ مِنْ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ الْمُخَالِفِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إذَا صَدَرَ عَنْ شَخْصٍ مِنْ الْأَشْخَاصِ فَقَدْ يَكُونُ عَلَىٰ وَجْهٍ يُعْذَرُ فِيهِ؛ إمَّا لِاجْتِهَادِ أَوْ تَقْلِيدٍ يُعْذَرُ فِيهِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ كَمَا قَدْ قَرَّرْته فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَرَّرْته أَيْضًا فِي أَصْلِ " التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ " الْمَبْنِيِّ عَلَىٰ أَصْلِ الْوَعِيدِ.

فَإِنَّ نُصُوصَ الْوَعِيدِ الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَنُصُوصَ الْأَئِمَّةِ بِالتَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَا يُسْتَلْزَمُ ثُبُوتُ مُوجَبِهَا فِي حَقِّ الْمُعَيَّنِ إلَّا إذَا وُجِدَتْ الشُّرُوطُ وَانْتَفَتْ الْمَوَانِعُ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ.

هَذَا فِي عَذَابِ الْآخِرَةِ: فَإِنَّ الْمُسْتَحِقَّ لِلْوَعِيدِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَلَعْنَتِهِ وَغَضَبِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَالِدٌ فِي النَّارِ أَوْ غَيْرُ خَالِدٍ وَأَسْمَاءُ هَذَا الضَّرْبِ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفِسْقِ يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ سَوَاءٌ كَانَ بِسَبَبِ بِدْعَةٍ اعْتِقَادِيَّةٍ أَوْ عِبَادِيَّةٍ أَوْ بِسَبَبِ فُجُورٍ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الْفِسْقُ بِالْأَعْمَالِ.

فَأَمَّا أَحْكَامُ الدُّنْيَا: فَكَذَلِكَ أَيْضًا؛ فَإِنَّ جِهَادَ الْكُفَّارِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِدَعْوَتِهِمْ؛ إذْ لَا عَذَابَ إلَّا عَلَىٰ مَنْ بَلَغَتْهُ الرِّسَالَةُ، وَكَذَلِكَ عُقُوبَةُ الْفُسَّاقِ لَا تَثْبُتُ إلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ". اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٤٩٨):**

"**والْأَصْلُ الثَّانِي**: أَنَّ التَّكْفِيرَ الْعَامَّ -كَالْوَعِيدِ الْعَامِّ- يَجِبُ الْقَوْلُ بِإِطْلَاقِهِ وَعُمُومِهِ، وَأَمَّا الْحُكْمُ عَلَىٰ الْمُعَيَّنِ: بِأَنَّهُ كَافِرٌ أَوْ مَشْهُودٌ لَهُ بِالنَّارِ: فَهَذَا يَقِفُ عَلَىٰ الدَّلِيلِ الْمُعَيَّنِ؛ فَإِنَّ الْحُكْمَ يَقِفُ عَلَىٰ ثُبُوتِ شُرُوطِهِ، وَانْتِفَاءِ مَوَانِعِهِ". اهـ

وله رَحِمَهُ ٱللَّهُ غير ذلك، فهو من أكثر ما نقل عنه في باب العذر بالجهل.

ومن القائلين بالعذر بالجهل.

الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول** في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٤٣): "وجوابنا هُوَ أَن من قَالَ هَذَا فَإِن كَانَ جَاهِلا علم وَلَا شَيْء عَلَيْهِ فَإِن المسلمين لَا يعْرفُونَ هَذَا إِذا أَسْلمُوا حَتَّىٰ يعلمُوا وَإِن كَانَ عَالما فَهُوَ عابث مستهزئ بآيَات الله تَعَالَىٰ فَهُوَ كَافِر مُرْتَد حَلَال الدَّم وَالْمَال، وَمن قذف عَائِشَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فَهُوَ كَافِر لتكذيبه الْقُرْآن وَقد قَذفهَا مسطح وَحمْنَة فَلم يكفرا لِأَنَّهُمَا لم يَكُونَا حِينَئِذٍ مكذبين لله تَعَالَىٰ وَلَو قذفاها بعد نزُول الْآيَة لكفر وَأما من سبّ أحدا من

الصَّحَابَةرَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فَإِن كَانَ جَاهِلا فمعذور وَإِن قَامَت عَلَيْهِ الْحجَّة فتمادىٰ غير معاند فَهُوَ فَاسق كمن زنىٰ وسرق وَإِن عاند الله تَعَالَىٰ فِي ذَلِك وَرَسُوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِر". اهـ

ولشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ: كلام يرىٰ العذر بالجهل، وأنه يُسمىٰ مسلمًا ما دام أنه لم تبلغه الحجة، وكلام أنه يكون مشركًا، لكنه إن لم تبلغه الحجة؛ فهو ممن يُختبر في الآخرة.

قال العلامة المعلمي رَحِمَهُٱللَّهُ **في** كتاب رفع الإشتباه (٢/ ٩٣٣-٩٣٤):

"وها هنا قاعدة جليلة، وهي: أنَّ مَن رضي بالإسلام دينًا ولو إجمالًا فالأصل فيه أنه معذور في خطئه وغلطه، ومَن لم يرض بالإسلام دينًا فالأصل فيه أنه غير معذور، ولا يخرج أحدُهما عن أصله إلا ببيانٍ واضحٍ، هذا في الحكم الظاهر، فأمَّا عند الله عزَّ وجلَّ فالمدار علىٰ الحقيقة؛ ولهذا كان يحكم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ علىٰ أهل الفترة بالشرك والنار، ولا يستثني أحدًا إلاَّ مَن فارق شركهم، كزيد بن عمرو بن نفيل، ومَن حَقَّق النظر ربما يظهر له أنَّ كثيرًا منهم كانوا معذورين، ولكن ليس هناك بيان واضح؛ فلذلك حكم الشرعُ عليهم بالظاهر، وأَمْرُهُمْ عند الله موكولٌ إلىٰ الله". اهـ

قال الشيخ تقي الدين الهلالي رَحِمَهُٱللَّهُ **في شرحه علىٰ كشف الشبهات (٢٣٥):**

"ومن هذا يُعلم إن جميع ما تقدم من تكفير المبتدعين؛ هو خاص بمن قامت عليه الحُجة منهم، وعرف – أن عمله ذلك شرك، وأصر عليه ستكبارًا وعنادًا، أو خوفًا من فقد جاه أو مال أو تعصُّبا لما كان عليه هو وقبيله وآباؤه" . اهـ

وله قول بعدم العذر رحمه الله.

وفي كتاب لقاءات وجلسات للشيخ صالح آل الشيخ السؤال (٢٠٩) :

عفا الله عنك نريد إيضاحا لمسألة العذر بالجهل؟

الجواب: هذه المسألة أنا لا أتكلم فيها ، أُسأل عنها كثيرًا، ولا أدخل فيها بالتفصيل، لكن الشيخ محمد الله نص علىٰ أنه لا يكفر من عند القباب التي تعبد من دون الله ؛ لأجل عدم وجود من ينبهه، فالتكفير لا يكون إلا بعد إقامة الحجة، وإقامة الحجة عنده لا يشترط فيها الفهم، فمن سمع بالدعوة – دعوة الشيخ بالأدلة، وأعرض عن ذلك، وسمع فعنده قد قامت عليه الحجة، فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل قيام الدعوة وانتشار خبرها في الجزيرة كان هذا كلامه وبعد أن سمع بها، وعرف الناس وأرسل الرسل والكتب هو إلىٰ علماء الأمصار – يعني في الجزيرة –، فبعد ذلك صار له كلام في تكفير بعض الناس والمسألة مشكلة، ولا نحب أن نخوض فيها الشباب أحسن أن يتركوها؛ لأن هذه من مسائل الفقه هل يعذر أم لا يعذر؟ هذه من مسائل الفقه والواجب التبليغ الواجب الدعوة". اهـ

فنحن إذ نتكلم نتكلم بما لنا، وبما علينا خلافًا لهؤلاء الذين ينقلون عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يوافق أقوالهم، ويتركون ما يخالف في ذلك، وربما ينقلون عن الإمام العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يُوافق أقوالهم، ويتركون ما يُخالف في ذلك.

وأما المنصف فإنه ينقل ما له، وما عليه من الأدلة الشرعية، ومن أقوال أهل العلم رحمة الله عليهم، ثم بعد ذلك يرجح ويتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بما يوصله إليه اجتهاده.

بيان نصوص صريحة في العذر بالجهل عن الإمام المجدد

يقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في فتاوىٰ ومسائل (١/ ١١):

"وإذا كنا لا نكفّر مَن عبد الصنم الذي علىٰ قبر عبد القادر، والصنم الذي علىٰ قبر أحمد البدوي، وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، ولم يكفّر ويقاتل؟ ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦]".

اهـ

فماذا بعد هذا النص الصريح في أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يعذر بالجهل ثم يزعم الزاعم أنه يقول بالإجماع بكفر من وقع في الشرك الأكبر نعم قد يكون الإجماع المنقول من حيث الحكم العام لا حكم علىٰ المعين، فهذا محل اتفاق بين العاذرين، وغيرهم أن دعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ فيما لا يقدر عليه إلا الله كفر أكبر مخرجًا من الملة، وهكذا الاستعانة، والاستغاثة، وغيرها مما يقع فيه عباد القبور من الرافضة، والباطنية، والصوفية.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١١٣):**

وأما ما ذكر الأعداء: عني، أني أُكَفِّر بالظن وبالموالاة، أو أكفّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة؛ فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تكما في الدرر السنية (١٠/ ١٢٨):** وإنما نكفّر من أشرك بالله في إلهيته، بعدما نبين له الحجة، علىٰ بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسنه للناس، أو

أقام الشبه الباطلة علىٰ إباحته، وكذلك من قام بسيفه، دون هذه المشاهد، التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها، وسعىٰ في إزالتها؛ والله المستعان، والسلام". اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الدرر السنية (١٠/ ١٣١):

ولكن نكفر من أقر بدين الله ورسوله، ثم عاداه وصد الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان، بعدما عرف أنها دين المشركين، وزينه للناس، فهذا الذي أكفره، وكل عالم علىٰ وجه الأرض يكفر هؤلاء، إلا رجل معاند، أو جاهل؛ والله أعلم، والسلام". اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ كما في الدرر السنية (١٠/ ٧٣):

وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعد ما عرفه سبه، ونهىٰ الناس عنه، وعادىٰ من فعله، فهذا هو الذي أكفر. وأكثر الأمة – ولله الحمد – ليسوا كذلك". اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الدرر السنية (١٠/ ١١٥):

ونقول ثانيًا: إذا كانوا أكثر من عشرين سنة، يقرون ليلا ونهارا، سرا وجهارا: أن التوحيد الذي أظهر هذا الرجل، هو دين الله ورسوله، لكن الناس لا يطيعوننا، وأن الذي أنكره هو الشرك، وهو صادق في إنكاره، ولكن لو يسلم من التكفير والقتال، كان علىٰ الحق؛ هذا كلامهم علىٰ رؤوس الأشهاد، ثم مع هذا يعادون التوحيد ومن مال إليه، العداوة التي تعرف، ولو لم يكفر ويقاتل. اهـ

والشاهد: أنه كفر من عادىٰ التوحيد وأهله عن علم، وحجة قد قامت عليه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الدرر السنية (٩/ ٤٢٦):

إن معصية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشرك وعبادة الأوثان، بعد بلوغ العلم، كفر صريح بالفطر والعقول، والعلوم الضرورية، فلا يتصور أنك تقول لرجل، ولو من

أجهل الناس، وأبلدهم: ما تقول فيمن عصىٰ الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولم ينقد له في ترك عبادة الأوثان والشرك، ممن يدعي أنه مسلم متبع؟ إلا ويبادر بالفطرة الضرورية، إلىٰ القول: بأن هذا كافر، من غير نظر في الأدلة، أو سؤال أحد من العلماء". اهـ

فهذا الكلام نحن نقوله فيمن قد شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا يدري هل هذا شرك أو ليس بشرك، ولا يدري هل هذه مخالفة، أو ليست بمخالفة، أما الكافر الذي هو كافر من أصله؛ فهو كافر، سواء بلغته الحجة، أم لم تبلغه، يسمىٰ كافرًا بشرع الله عَزَّوَجَلَّ، وفي دين الله، إلا أنه إذا كانت لم تبلغه الحجة فيختبر يوم القيامة، لحديث الأسود بن سريع رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ المتقدم، فكلامنا كما سيأتي في كلام الإمام العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ في إنسان شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مقرًا بالإسلام، ثم لا يعلم أن هذا كفر، أو شرك، ولم يخلد في عقله يومًا من الأيام، أن هذا كفر، أو شرك، ولم يعلمه أحد في يوم من الأيام أن هذا كفر، أو شرك.

كالذين قالوا للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ**»، ومع ذلك: لم يكفرهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكالذين قالوا لموسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف:١٣٨]، ومع ذلك أيضًا: لم يكفرهم موسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُٱللَّهُ: من حديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ

أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[1].

فلم يكفرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قولتهم هذه، ولم يفسقهم، ولم يحلقهم شيء من ذلك، وإنما عظم عليهم هذا القول، وزجرهم عنه، وبين لهم أن هذا القول باطل وكفرًا، فلوا أصروا عليه بعد البيان طفروا، وحاشاهم، وكذلك الحواريون يقولون لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ به في كتابه العزيز: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢].لم يكفرهم عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ قولتهم الكفرية القبيحة، وأما من قال من المفسرين: أن معنىٰ الآية: **"هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟"**

وللإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ كلام كثير في أن جاهل التوحد كافر سواء ما سطره في كتابه: "القول السديد في كفر تارك التوحيد"، أو في غير ذلك من كتبه الأخرىٰ.

المهم: أن هذه المسألة فيها خلاف بين أهل العلم رحمة الله عليهم، كما ترىٰ مع أن الأخ سلمان العماد وفقه الله: خرج بمبحث علىٰ الإجماع علىٰ مسألة العذر بالجهل، ونحن ما سنلزمهم بما قرره في مباحثه.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢١٨٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وقال: "صحيح"، وانظر ظلال الجنة (٧٦)، المشكاة (٥٣٦٩).

ونقول: من رد الإجماع فهو كافر، والخلاف فيها: موجود في عصرنا هذا، بين أئمة من أهل العلم يعذرون بالجهل، وأئمة لا يعذرون، ومع ذلك: لم يبدع بعضهم بعضًا، ولم يفسق بعضهم بعضًا، ولم يهجر بعضهم بعضًا، ولم يقل بعضهم في بعض: هؤلاء ما عرفوا الإسلام، وهؤلاء: أشد في الإرجاء من الجهم بن صفوان.

نسأل الله السلامة والعافية من ذلك، وهنا فتوىٰ للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمرة يعذر بالجهل، ومرة لا يعذر بالجهل كما تقدم معنا ذلك.

سئل الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في تحفة المجيب علىٰ أسئلة الحاضر والغريب (ص: ١٢٤) هل يشترط إقامة الحجة علىٰ مرتكب الكفر أو البدعة مع أن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حكم علىٰ ذو الخويصرة، فقال: « يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدّين». وقال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الخوارج كلاب النّار»، وقوله: «القدريّة مجوس هذه الأمّة »؟.**

الجواب: يحكم عليه بظاهر فعله، والعذر بالجهل بينه وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنحن نؤمن ونعتقد أن الجاهلين يعذرون، وربما يختبرون في عرصات القيامة، كما جاء في حديث أبي هريرة، وفي حديث الأسود بن سريع. اهـ

بيان الخلاف في أبوي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

هل هما في النار لعدم عذرهم بالجهل، لأنهم كانوا عندهم بقايا من دين إبراهيم، ولم يعملوا به أم أنهم يوم القيامة يمتحنون فيكون مآلهم إلىٰ النار؟

أي: أنهم يمتحنون ولا يوفقون إلىٰ الإجابة فيكون مآلهم إلىٰ النار، والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وممن نقل عنه عدم العذر بالجهل الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التبصير في معالم الدين (ص١٦١-١٦٢): والذين جحدوا من الفرائض ما جاءت به الحجة من أهل النقل بنقله عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ظاهراً مستفيضاً قاطعاً للعذر كالذي أنكروا من وجوب صلاة الظهر والعصر، والذين جحدوا رجم الزاني المحصن الحر من أهل الإسلام، وأوجبوا علىٰ الحائض الصلاة في أيام حيضها، ونحو ذلك من الفرائض فإنهم عندي بما دانوا به من ذلك مرقةٌ من الإسلام، خرجوا علىٰ إمام المسلمين أولم يخرجوا عليه إذا دانوا بذلك بعد نقل الحجة لهم الجماعة التي لا يجوز في خبرها الخطأ، ولا السهو والكذب". اهـ

انظر يعني: بعد نقل الحجة لهم، أما قبل بلوغ الحجة لهم لم يكفرهم.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعلىٰ إمام المسلمين استتابتهم مما أظهروا أنهم يدينون به بعد أن يظهروا الديانة به، والدعاء إليه، فمن تاب منهم خلىٰ سبيله، ومن لم يتب من ذلك منهم قتله علىٰ الردة؛ لأن من دان بذلك فهو لدين الله -الذي أمر به عباده بما لا نعذر بالجهل به ناشئًا

نشأ في أرض الإسلام- جاحدٌ". اهـ

أي: نشأ في أرض الإسلام، نشأ بين أهل العلم، نشأ يسمع أدلة التحريم، وأدلة المنع.

ثم قال رحمه الله مقيد ذلك بقيام الحجة:

"ومن جحد من فرائض الله -عز وجل- شيئًا بعد قيام الحجة عليه به فهو من ملة الإسلام خارج".اهـ

أما إذا كان في آخر الزمان، أو في منطقة ما علم أن هذا الأمر يخالف الدين، ويخالف الشرع، فكيف يؤخذ وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة:١١٥].

و في سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّىٰ لَا يُدْرَىٰ مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ **فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَىٰ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا»**.

فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-**، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ**

يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا » [(١)].

سبحان الله!: هؤلاء الذين لم يعرفوا الصلاة، ولم يعرفوا الزكاة، ولم يعرفوا الحج، وإنما عندهم: لا إله إلا الله ما عندهم من هذه البوائق، وما عندهم من المخالفات؟ هم قد جهلوا الصلاة؛ فهم لما سواها أجهل.

((١)) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٠٤٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله .

الإيلاف في بيان أن مسألة العذر بالجهل من مسائل الخلاف

قلت فيها: الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله.

أما بعد:

فقد منّ الله علىٰ الدعوة السلفية في اليمن: بشيخنا الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم بخليفته علىٰ دعوته شيخنا يحيىٰ بن علي الحجوري حفظه الله تعالىٰ.

وتعلمنا منهما، ومن غيرهما من أهل العلم والدين: أن المسائل الخلافية تبقىٰ علىٰ ما هي عليه، حتىٰ لا يبدع أو يفسق، أو يكفر فيما لا تبديع فيه ولا تفسيق، ولا تكفير.

[فأنا أحب أن يعلم ممن نخاطبه بهذه الرسالة، أن ليس بيننا وبين عبد الله الجربوع ومن إليه، القول: بعدم العذر بالجهل؛ لأن القول بعدم العذر بالجهل: قد قال به علماء، والقول بالعذر بالجهل: قد قال به علماء ولكل أدلته الصحيحة، وكل قد ادعىٰ الإجماع علىٰ قوله، فهؤلاء يدعون الإجماع علىٰ عدم العذر بالجهل، وهؤلاء: يدعون الإجماع علىٰ العذر بالجهل، وإنما مسألتنا هنا هي مسألة البغي، والتجاوز، والقيام علىٰ أهل الحق، في مسألة اختلف فيها أهل العلم، ولم يبدع بعضهم بعضًا، ولم يفسق بعضهم بعضًا.

فهذا الأمر هو الذي ننكره ونقوم علىٰ عبد الله الجربوع ومن إليه من اللفيف، ممن سلك مسلكه في البغي والتجاوز علىٰ أهل العلم في مسألة قد حصل فيها الخلاف بين أهل العلم من قبلهم، فلا يجوز السكوت عنهم؛ لأن هذا الأمر يؤدي إلىٰ

التسلسل، فإذا كان الشيخ أبو بلال الحضرمي حفظه الله تعالىٰ: كافرًا، فمن يطلب العلم عنده في مركزه فهو كافر مثله، ومن لم يكفر الكافر؛ فهو كافر أيضًا مثله، وهكذا.

فيكون علماء أهل السنة والجماعة في اليمن: الذين يدافعون عن الشيخ أبي بلال الحضرمي؛ فهم مثله كفار، وما عرفوا أصل الإسلام، وهم في الإرجاء: أشد من الجهم بن صفوان، وهم أيضًا إخوان عباد القبور، وغيرها من التهم الباطلة الجائرة الظالمة.

فلهذا يجب علينا أن نقوم علىٰ فكرتهم هذه، بالبيان والرد، بمعاول الحق، وسيوف السنة؛ حتىٰ يعلم المنصف: أن أهل السنة والجماعة في اليمن، وغير اليمن، من أبعد الناس عن الإرجاء، ومن أبعد الناس عن المخالفات الشرعية، ونحن بفضل الله عَزَّوَجَلَّ:"وليس بحولنا، ولا بقوتنا"، نحذر من عباد القبور بالخطب، وبالمحاضرات، وبالدروس، وبالتأليف، وبالنصح، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسواء في ذلك: عباد القبور: من الرافضة، أو الباطنية، أو الصوفية، أو من أي جهة كانوا، فبفضل الله عَزَّوَجَلَّ: نكفر عباد القبور إجمالًا، كما هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لكن عند النظر في الشخص المعين: إن كان ممن بلغت الحجة الرسالية، يكفر ولا كرامة له.

وإن كان ممن لم تبلغه الحجة الرسالية: نعلمه بحكم هذا العمل؛ فإن أعرض ولم يستجب؛ فهذا يكون معرضًا، فالذي يسمع: بأدلة الكتاب والسنة، يسمع بأدلة التوحيد ولا يسأل، ويعلم أن هنالك علماء أهل سنة وجماعة يحذرون من الشرك ولا يسألهم، فهذا معرض، وهذا شيء آخر يسمىٰ بكفر الإعراض، ولا نقول: بأنه جاهل، فهذا معرض.

ولكن كلامنا على مسألة علمية، وهي:

أن الإنسان إذا وجد وهو لا يعلم أن هذا الأمر، أو لا يعلم أن هذا الفعل شرك، أو كفر، أو بدعة، أو معصية؛ فجعل يتعاطاها، فهل نكفره قبل إقامة الحجة عليه، أم لا نكفره؟

الجواب: لا نكفره قبل إقامة الحجة عليه؛ ولهذا يقول أهل العلم: بأن حديث العهد في الإسلام، ومن نشأ في بادية أن هؤلاء لم يبلغهم العلم، أما المعرض فهو معرض عن الحق، وعن أهل الحق].

☐ ومن هذه المسائل: مسألة تارك الصلاة:

فهي من المسائل الخلافية: بين أهل السنة والجماعة، والأقوال فيها مذكورة في غير موطن، مع أن الذي تطمئن إليه النفس، ونقول به كفره الكفر الأكبر المخرج من الملة، ومع ذلك لا نبدع من اختار القول الآخر.

[كما تقدم في كلام الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

☐ ومن هذه المسائل مسألة العذر بالجهل:

فالخلاف بين العلماء فيها: مبسوط مذكور في غير كتاب، وممن صرح بوجود الخلاف: شيخنا الوادعي، والشيخ الشنقيطي، والشيخ ابن عثيمين -رحمة الله عليهم جميعًا-.

[وكذا الشيخ ابن باز، وهو الواقع الذي لا يجوز إنكاره، ولأخينا أنور الرافعي حفظه الله تعالىٰ رسالة بعنوان: "الإعلام بثبوتية الخلاف في العذر بالجهل بين الأعلام".

فقد نقل فيها: نقولات طيبة مفيدة تبين أن المسألة خلافية بين أهل العلم رحمة الله عليهم أجمعين.

حتىٰ: لا يتجاوز أحد هذا الخلاف.

وأيضًا: الشيخ عبد العزيز الراجحي، والشيخ عبد المحسن العباد -حفظهما الله تعالىٰ-، وهؤلاء من المتأخرين، والله الموفق].

وكفىٰ بهم علمًا وفضلًا في معرفة الخلاف، فعلىٰ هذا فلا تبديع، ولا تفسيق، ولا تكفير، فيمن قال بأحد القولين مالم يخالف قولي العلماء.

إذ قد أحدث بعضهم أقوالا وتفريعات يوالي ويعادي عليها، بل وصل الحد ببعضهم إلىٰ تكفير العاذر، أسأل الله السلامة.

[وهذه بدعة: حازمية، وأخذها الجربوع، ومن إليه عنه ومنه].

وقد سئل الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن حكم الذين يدعون غير الله عَزَّوَجَلَّ من المسلمين عن جهل بحقيقة التوحيد؟

فأجاب رحمه الله تعالىٰ: هذا حكمهم أن عملهم كفر، الذين يدعون غير الله عَزَّوَجَلَّ من الأموات، ويستغيثون بالأموات، عمل كفر، واختلف العلماء رحمة الله عليهم في ذلك: هل يكفر في نفسه ويكون كافرًا، أو لا بد أن يعلم، علىٰ قولين:

أحدهما: أنه لا بد أن يُعلم، لأنه قد يكون قد اشتبه عليه أمره؛ بسبب دعاة الباطل، وبسبب علماء السوء، واشتبه عليه الأمر؛ فلا بد أن يعلم، ولا بد أن ينبه قبل أن يحكم عليه بالكفر، وهذا قول: جماعة من أهل العلم رحمة الله عليهم. اهـ

[فهذا هو كلام الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذين ينقل عنه: أنه لا يرىٰ العذر

بالجهل، وقد علمتم في بداية الكلام أنه يقول: بلوغ الحجة].

القول الثاني: أنه لا يحتاج إلىٰ بيان؛ لأن الأمر واضح، ولأن القرآن الكريم كله فيه بيان الشرك، وهكذا السنة، وكذلك النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين ذلك، والعلماء بينوا ذلك، فلا يتوقف كفره: علىٰ البيان؛ بل هو كافر بهذا العمل، ولكن يستتاب: قبل أن يقتل؛ إن كان هنالك دولة إسلامية تحاسبه؛ فإنها لا تقتله حتىٰ تستتيبه، تقول له: تب إلىٰ الله ودع هذا الشرك، فإن تاب وأقلع: فالحمد لله، وإن أصر عليه قتل.

وبكل حال: فالأمر خطير، والقول بأنه كافر بمجرد هذه الأعمال، قول قوي، لكن الأحوط أن لا يقدم علىٰ ذلك حتىٰ يوجه إلىٰ الخير، ويعلم؛ لعله يهتدي إذا تيسر له ذلك؛ لكن حكمه في الدنيا: حكم الكفار، ما دام عمل الكفار؛ فحكمه في حكمهم في الدنيا كالكفار إذ لا يُصلىٰ عليه، ولا يغسل، ولا يرث منه المسلمون". اهـ

شاهدنا: أن الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقل الخلاف بين أهل العلم في هذه المسألة، واختار القول بعدم العذر.

فلماذا: لم يسلكوا مسلك الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نقل الخلاف، ويأخذوا ما شاءوا من الأقوال.

أما أن يقوموا علىٰ أهل السنة: بسبب الاختلاف في مسألة علمية، فهذا سبيل غوي غير مرضي].

قال الشيخ الإمام محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كما في مجموع فتاواه (٢٢٤) حيث سئل فضيلة الشيخ: **عن العذر بالجهل فيما يتعلق بالعقيدة؟**

فأجاب بقوله: الاختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية، وربما يكون اختلافًا لفظيًا في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم علىٰ الشخص المعين.

أي: إن الجميع يتفقون علىٰ أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر، أو هذا الترك كفر؛ ولكن هل يصدق الحكم علىٰ هذا الشخص المعين لقيام المقتضىٰ في حقه، وانتفاء المانع، أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات، أو وجود بعض الموانع. اهـ

وقال شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كِتَاب "غارة الأشرطة علىٰ أهل الجهل والسفسطة"** (٢/ ٤٤٧- ٤٤٨): "قد اختلف أهل السنة أنفسهم في هذه القضية في شأن العذر بالجهل في التوحيد، والذي يظهر أنه يعذر بالجهل.

لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء:١٥].

ولقول الله عَزَّوَجَلَّ حاكيًا عن الحواريين حيث قالوا: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [المائدة:١١٢].

ولكن قال: ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

وَكَقَوْلِه تَعَالىٰ في شأن أصحاب موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف:١٣٨].

وفي الصَّحِيحِ- وهو مَرْوِي من حديث جماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ-: «**أَنَّ رَجُلًا**

قال لِبَنِيْهِ: أَيّ أَب كُنْتُ لَكُمْ؟ قالوا: نِعْم الأب، قال: فإذا مِتّ فاحرقوني ثم ذروني فو الله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابا لا يعذبه أَحَدًا مِنَ العَالَمِيْن، فَلَمَّا فَعَلوا ما أوصاهم به، ثم أَمَرَ الله البحر أن يجمع ما فيه، والبر أن يجمع ما فيه، وأحياه الله فقال له: ما حَمَلَكَ علىٰ ما صَنَعْتَ؟ قال: مَخَافَتُكَ يَا رب، قال فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَك».

وهذا رجل يَشُكُّ في قُدْرَةِ الله، كَمَا أَنَّ الحواريين شَكُّوا في قدرة الله، فهذه الأدلة: تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يُعْذَرُ بالجهل، والذين لا يقولون بالعذر بالجهل ليس لهم أدلة ناهضة.

ثم بعد هذا: حديث أبي هريرة، والأسود بن سريع -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: كَمَا في مسند الإمام أحمد أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **قال**: «**أَرْبعة يختبرون يوم القيامة: الأبله والأصم وصاحب الفترة -ولا أستحضر الرابع-، فيقال لهم في عرصات القيامة -ويخرج لهم عنق من النار- اقتحموه، فمن اقتحمه منهم كان بردًا عليه وسلامًا، ومن لم يقتحمه فيقول الله له: أنتم الآن عصيتموني فأنتم لرسلي أشد عصيانًا**».

وَأَنْصَحُ بقراءة ما كتبه الشيخ الشَّنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: عند تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]، أو عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة:١١٥].

فَبِمَا أَنَّ المَسْأَلَةَ خِلافِيَّة بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَالمُخَالِفُ لاَ يُحْكَمُ عَلَيْهِ لَكِن الرَّاجِحَ أَنَّهُ يُعْذَرُ بِالجَهْلِ". اهـ

والذي يهمني تقريره: أن الخلاف في المسألة بين أهل العلم واقع وحاصل، ردًا علىٰ ما يُعلم من تجاوز بعضهم، وقوله بعدم الصلاة خلف العاذر، وهذا ناتج عن تكفيرهم للعاذر إحداثًا في دين الله ما ليس منه أسأل الله العافية.

فالنصيحة لطلاب العلم، ومن إليهم:

بعدم التجاوز في المسائل العلمية، والعملية لما يؤدي إليه من فتن وتجاوزات في المعاملات، والأحكام والله المستعان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **في الرد علىٰ البكري (٢/ ٧٣١):** "فأنا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحدا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة، ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت. ولا لغير ميت، ونحو ذلك؛ بل نعلم أنه نهىٰ عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالىٰ ورسوله؛ لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يكن تكفيرهم بذلك؛ حتىٰ يتبين لهم ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يخالفه". اهـ

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **في الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٤):** "وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا علىٰ من قدر علىٰ إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم، الذي علىٰ عبد القادر، والصنم

الذي علىٰ قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦]." اهـ

وأما ما يتعلق بالمذهب الذي أراه صحيحًا في هذه المسألة:

علىٰ أن من كان جاهلًا حقًا ووقع عليه مسمىٰ الجهل وحكمه فهو معذور، ومن كان معرضًا: فليس بداخلٍ في الجهل ولا في حكمه، بل هو مشرك كافر بإعراضه عن تعلم التوحيد والعمل به.

وملخص ذلك: أن من أشرك بالله شركًا أكبر مما يخرج مثله من الإسلام صار مرتدًا كافرا ويستثنىٰ من ذلك:

١- حديث عهد بإسلام.

٢- أو من كان في بادية لم يبلغه علم، ومن في حكمه من الجهال.

فالمسألة عائدة إلىٰ ثبوت الجهل من عدمه: فمن بلغته الدعوة، وأعرض عنها فليس بجاهل، وإنما هو معرض، وهكذا من كان معرضًا عن العلم فلا يسأل عن دينه، ولا يتعلم ما يجب عليه أن يتعلمه مع تمكنه من ذلك، فيبقىٰ جاهلا، ويقع في بعض الشركيات بسبب هذا الجهل الذي منشؤه من الإعراض عن العلم، فهذا جاهل حقيقة لكنه ليس معذورا بجهله، وأما من لم تبلغه الدعوة: إما لحداثة عهد بإسلام، لم يتبين له خطأ ما وقع فيه، أو في مكان لم يبلغه العلم، ولا يعلم أن هذا يخالف دين الإسلام، فهو معذور.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الرسالة السادسة والثلاثين من مجموع رسائله: الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس لرسالة السادسة والثلاثون: رسالته إلىٰ الإخوان (ص: ٢٤٤):

بسم الله الرحمن الرحيم

إلىٰ الإخوان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، ما ذكرتم من قول الشيخ: كل من جحد كذا وكذا، وقامت عليه الحجة، وأنكم شاكون في هؤلاء الطواغيت وأتباعهم، هل قامت عليهم الحجة، فهذا من العجب؛ كيف تشكون في هذا وقد أوضحته لكم مراراً؟

فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل الصرف والعطف، فلا يكفّر حتىٰ يعرَّف؛ وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة[(١)]. اهـ

[ولكن كيف يبلغه القرآن؟ هل تقول له: هذا المصحف؟ الجواب: لا، ولكن يبلغه أحكام القرآن، ويعلم بما يقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز: فلا بد من العلم والمعرفة لأحكام القرآن فيما يلزم به من المسائل].

وبنحو هذا قال شيخ الإسلام، وتكرر في الدرر السنية وغيرها، والله أعلم.

وللشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلام في المسألة ذكره الذهبي في السير، ولابن حزم في الفصل، وللنووي في شرح مسلم، ولابن قدامة في المغني، ولابن العربي نقله عنه القاسمي في محاسن التأويل، ولابن القيم في بدائع الفوائد، وللمعلمي في آثاره، ولابن عثيمين في

تفسير سورة النساء، وفي الشرح الممتع علىٰ العذر بالجهل حتىٰ تقوم الحجة-رحمة الله عليهم أجمعين-.

وما أُروت تقريره أن المسألة خلافية من حيث الحاصل الآن بين أهل العلم، فلا يتوسع في التبديع والتفسيق فيها.

[وإلا لو عدنا إلىٰ ما نقله أخونا الفاضل الشيخ: سلمان العماد حفظه الله تعالىٰ؛ فإنه يقول: المسألة فيها إجماع كما أن الآخرين يقولون: فيها إجماع أيضًا؛ لكن نحن نتكلم في الخلاف الحاصل في عصرنا الحاضر، نتكلم عن أمر واقع، فلا تبدعني ولا أبدعك، من أجل هذه المسألة بعينها؛ لكن إذا تجاوزت وحكمت علىٰ السني: بالكفر، وتقول: بتكفير العاذر بالجهل، فهنا: أبدعك، علىٰ هذا التكفير في مسألة خلافية بين أهل العلم، بل وأُلحقك بكلاب النار، ولا كرامة، وهذا: هو الذي نراه في الجربوع وفي لفيفه، إن لم يتوبوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من جرأتهم علىٰ علماء المسلمين، وعلىٰ السلفيين].

ونبقىٰ علىٰ أن من كفره الدليل كفرناه، ومن بدعه الدليل بدعناه، ومن فسقه الدليل فسقناه، ولا نتجاوز أحكام أهل العلم، ولنحذر مداخل الشيطان، وطرق أهل البدع من الخوارج والمرجئة، والله المستعان وعليه التكلان.

بيان كلام أهل العلم في صفة قيام الحجة

قال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالىٰ في الفصل في الملل (٣/ ١٤٤)

" فصح بِمَا قُلْنَا أَن كل من كَانَ علىٰ غير الْإِسْلَام وَقد بلغه أَمر الْإِسْلَام فَهُوَ كَافِر وَمن تَأَول من أهل الْإِسْلَام فَأَخْطَأَ فَإِن كَانَ لم تقم عَلَيْهِ الْحجَّة وَلَا تبين لَهُ الْحق فَهُوَ مَعْذُور مأجور آجرا وَاحِدًا لطلبه الْحق وقصده إِلَيْهِ مغْفُور لَهُ خَطؤُهُ إِذْ لم يعتمده لقَوْل الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، وَإِن كَانَ مصيبًا فَلهُ أَجْرَانِ أجر لإصابته وَأجر آخر لطلبه إِيَّاه وَإِن كَانَ قد قَامَت الْحجَّة عَلَيْهِ وَتبين لَهُ الْحق فَعِنْدَ عَن الْحق غير معَارض لَهُ تَعَالَىٰ وَلَا لرَسُوله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم فَهُوَ فَاسق لجراءته علىٰ الله تَعَالَىٰ بإصراره علىٰ الْأَمر الْحَرَام فَإِن عِنْد عَن الْحق مُعَارضا لله تَعَالَىٰ وَلِرَسُولِهِ صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم فَهُوَ كَافِر مُرْتَد حَلَال الدَّم وَالْمَال لَا فرق فِي هَذِه الْأَحْكَام بَين الْخَطَأ فِي الِاعْتِقَاد فِي أَي شَيْء كَانَ من الشَّرِيعَة وَبَين الْخَطَأ فِي الْفتيا فِي أَي شَيْء كَانَ علىٰ مَا بَينا قبل". اهـ

ويقول الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٣٩):

"وأما ما لم تقم الْحجَّة علىٰ الْمُخَالف للحق فِي أَي شَيْء كَانَ فَلَا يكون كَافِرًا إِلَّا أَن يَأْتِي نَص بتكفيره فَيُوقف عِنْده كمن بلغه وَهُوَ فِي أقاصي الزنج ذكر النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَط فَيمسك عَن الْبَحْث عَن خَبره فَإِنَّهُ كَافِر فَإِن قَالَ قَائِل فَمَا تَقولُونَ فِيمَن قَالَ أَنا أشهد أَن مُحَمَّدًا رَسُول الله وَلَا أَدْرِي أهوَ قرشي أم تميمي أم فَارسي وَلَا هَل كَانَ بالحجاز أَو بخراسان وَلَا أَدْرِي أَحَي هُوَ أَو ميت وَلَا أَدْرِي لَعَلَّه هَذَا الرجل

الْحَاضِر أم غَيره قيل لَهُ إِن كَانَ جَاهِلا لَا علم عِنْده بِشَيْء من الْأَخْبَار وَالسير لم يضرّهُ ذَلِك شَيْئا وَوَجَب تَعْلِيمه فَإِذا علم وَصَحَّ عِنْده الْحق فَإِن عاند فَهُوَ كَافِر حَلَال دَمه وَمَاله مَحْكُوم عَلَيْهِ بِحكم الْمُرْتَد". اهـ

وقال العلامة الفوزان حفظه الله تعالىٰ في شرح نواقض الإسلام:

عندما سئل: هل مرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام يكفر؟

فأجب بقوله: من ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، فينبغي أن يتثبت منه، فربما يكون جاهلًا؛ يعذر بالجهل، وربما: يكون مكرها، وربما: يكون له عذر، فإذا تبين: أن ليس له عذر، أو ليس بجاهل؛ فإنه يحكم عليه بما صدر منه". اهـ

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته (ص٦٨):**

وأخــو الجهالــة في خفــارة جهلــه والجهــل قــد يُنجــي مــن الكفــران

وقال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في التمهيد (٤/ ١٤٥):**

"وَمَنْ أَمْكَنَهُ التَّعَلُّمَ وَلَمْ يَتَعَلَّمْ أَثِمَ" اهـ

أي: أنه لم يعد جاهلًا بعد ذلك.

وقال الإمام القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الفروق (٤/ ٢٦٤):**

"الْقَاعِدَةَ الشَّرْعِيَّةَ: دَلَّتْ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ جَهْلٍ يُمْكِنُ الْمُكَلَّفَ دَفْعُهُ لَا يَكُونُ حُجَّةً لِلْجَاهِلِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ رُسُلَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِرَسَائِلِهِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ كَافَّةً أَنْ يُعَلِّمُوهَا ثُمَّ يَعْمَلُوا بِهَا، فَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ بِهَا: وَاجِبَانِ، فَمَنْ تَرَكَ التَّعَلُّمَ وَالْعَمَلَ وَبَقِيَ جَاهِلًا؛ فَقَدْ عَصَىٰ مَعْصِيَتَيْنِ؛ لِتَرْكِهِ وَاجِبَيْنِ، وَإِنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ: فَقَدْ عَصَىٰ مَعْصِيَةً وَاحِدَةً بِتَرْكِ الْعَمَلِ، وَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ فَقَدْ نَجَا، **وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ** - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**النَّاسُ**

كُلُّهُمْ هَلْكَىٰ إِلَّا الْعَالِمُونَ وَالْعَالِمُونَ كُلُّهُمْ هَلْكَىٰ إِلَّا الْعَامِلُونَ وَالْعَامِلُونَ كُلُّهُمْ هَلْكَىٰ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ وَالْمُخْلِصُونَ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ»، فَحَكَمَ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ بِالْهَلَاكِ إِلَّا الْعُلَمَاءَ مِنْهُمْ»". اهـ

ونحن إذ نقول: بأن العذر بالجهل في مسألة التكفير، لا يعني هذا أن الجهل مقبول لكل من ادعاه؛ بل من الناس من لا يعذر بجهله؛ لأنه يكون من المعرضين عن التعلم، أما من كان حكم الجهل عليه: فالمسألة تلحقه.

وقال الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في الدرر السنية (١٠/ ٤٣٢-٤٣٣)**: "وأما قوله: نقول بأن القول كفر، ولا نحكم بكفر القائل؛ فإطلاق هذا جهل صرف، لأن هذه العبارة لا تنطبق إلا علىٰ المعين، ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولا يكون القول به كفرا، فيقال: من قال بهذا القول فهو كافر، لكن الشخص المعين، إذا قال ذلك لا يحكم بكفره، حتىٰ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

وهذا في المسائل الخفية: التي قد يخفىٰ دليلها علىٰ بعض الناس، كما في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك مما قاله أهل الأهواء، فإن بعض أقوالهم تتضمن أمورا كفرية، من رد أدلة الكتاب والسنة المتواترة، فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفرا، ولا يحكم علىٰ قائله بالكفر، لاحتمال وجود مانع كالجهل، وعدم العلم بنقض النص، أو بدلالته، فإن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها؛ ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله روحه في كثير من كتبه.

وذكر أيضًا تكفير أناس من أعيان المتكلمين، بعد أن قرر هذه المسألة، قال: وهذا إذا كان في المسائل الخفية، فقد يقال بعدم التكفير.

وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية، أو ما يعلم من الدين بالضرورة: فهذا لا يتوقف في كفر قائله، ولا تجعل هذه الكلمة عكازة، تدفع بها في نحر من كفر البلدة الممتنعة عن توحيد العبادة والصفات، بعد بلوغ الحجة ووضوح المحجة". اهـ

ومسألة: الظهور من عدمها تختلف من شخص إلىٰ شخص.

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٢١٧-٢١٩):**

س: حكم العذر بالجهل في العقائد وغيرها؟

ج: الجهل يكون فيما يمكن خفاؤه، أما الأمور الظاهرة من الدين فلا يعذر فيها الجاهل؛ كأمور التوحيد وأمور الصلاة، لو قال: ما أعرف الصلاة وهو بين المسلمين، ما أعرف أن الصلاة مشروعة، أو ما أعرف الزكاة، أو ما أعرف الصيام ما يعذر بالجهل، أو قال: ما أعرف أن الزنا محرم ما يطاع، أو قال: ما أعرف أن اللواط محرم وهو بين المسلمين، ما يطاع، أو قال: ما أعرف أن الخمر محرم ما يطاع، أما الذي يمكن جهله: مثل بعض الصفات، صفات الله التي خفيت عليه أو ما درىٰ أنها من صفات الله فأنكرها، ثم علم وبين له ما يكفر بذلك؛ لأن مثل هذا قد يجهل بعض الصفات، أو مثل بعض حقوق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جهلها ما درىٰ عن بعض الحقوق التي تخفىٰ علىٰ العامي أو ما أشبه ذلك، أو إنسان في أطراف أمريكا أو أطراف أفريقيا في بعض المحلات البعيدة عن الإسلام، مثل هذا كأهل الفترة يبين له ولا يكفر حتىٰ يبين له ويعلم، فإذا ما أصر علىٰ ذلك وأصر علىٰ الكفر يُقتل الذي يتولاه مسلم، أو الدولة المسلمة؛ تحكم به عليه.

والحاصل: أنه يعذر بالجهل في المسائل التي قد يخفىٰ مثلها، ويكون حكمه حكم أهل الفترات إذا لقي الله جل وعلا.

والصحيح: الذي جاءت به الأحاديث أنه يمتحن يوم القيامة ضمن أهل الفترة، فإن أجاب إلىٰ الحق دخل الجنة، ومن عصىٰ دخل النار.

وأما في الدنيا: ينظر فيه؛ إذا ظن أنه يجهل، وولي الأمر إذا أراد أن يقيم الحد عليه يقيم التعزير عليه إن كان مثله يجهل هذا الشيء وينبهه، لكن لا يترك الحد عليه وهو بين المسلمين ممن يخفىٰ علىٰ المسلمين مثل ما تقدم.

يقول: أنا لا أعرف أن الناس يصلون.

يقول: ما أدري عن الصلاة، ولا أعرف الزكاة، ولا أعرف الصيام، ولا أعرف الجهاد، هذا لا يطاع؛ لأن هذا من التلاعب بالدين". اهـ

وقال الإمام العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح كشف الشبهات (ص٤٥-٤٦):

"وقد أختلف العلماء: في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حقل العبيد قبل البلاغ علىٰ ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره؟

والصحيح: ما دل عليه القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥].

وفي الصحيحين من حديث سعد بن عبادة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ وَالمُنْذِرِينَ**»(١).

والحاصل: أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقًا، وذلك الأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم". اهـ

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في الفتح الرباني (١/ ١٤٥-): "ومن وقع في الشرك جاهلًا لم يعذر، لأن الحجة قامت علىٰ جميع الخلق بمبعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فمن جهل فقد أُتي من قبل نفسه، بسبب الإعراض عن الكتاب والسنة، وإلا ففيهما البيان الواضح كما قال سبحانه في القرآن: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩].

وكذلك السنة: قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **توفي محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **وما ترك طائرا يقلب جناحيه بين السماء والأرض إلا ذكر لنا منه علما**»(٢) أو كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمن جهل فبسبب إعراضه، ولا يعذر أحد بالإعراض". اهـ

وهذا: إذ وُجد العلم وأعرض عنه، أما إذا لم يوجد العلم فإنه معذور، وهذا الذي نحن عليه، فإذا وجد العلم وأعرض عنه؛ تجده يسمع الخطب، والمحاضرات،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤١٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٤٩٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢١٤٣٩) عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: "لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا "، والحديث إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي ذر.

ويسمع الدروس العلمية، ويوجد العلماء في عصره وبلده، ومع ذلك لا يسألهم عن الحكم.

ويسمع بأهل السنة، وأنهم يقولون: عبادة القبور شرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ودعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ شرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومع ذلك يفعل ذلك ولا يبالي؛ فهذا معرض، وهو كافر كفر أكبر مخرج له من ملة الإسلام.

لكن مسألتنا: في من لم تبلغه الدعوة الرسالية، ولم يبلغه حكم مثل هذه المسائل، ولم يخطر في باله ذلك، ولم يجد من يقول له بالحكم، ولم يجد من يقول له: هذا العمل شرك، وهذا العمل كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

حتىٰ أن العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله تعالىٰ في الكتاب الذي قدم له وهو بعنوان: " عارض الجهل" يقول: "رأيته كتابًا جيدًا في موضوع تدعو الحاجة إليه، في هذا الوقت الذي التبس فيه الحق والباطل، بسبب فشو الجهل، وغلبة اتباع الهوىٰ، والخوض بغير علم، في مهمات العقيدة، والاعتذار عن المشركين، والمرتدين؛ بادعاء أنهم جهلة مع كونهم يعيشون في بلاد الإسلام، ويسمعون القرآن، والأحاديث، وكلام أهل العلم، فقد قامت عليهم الحجة، ولكنهم آثروا الاستمرار علىٰ ما هم عليه، وما وجدوا عليه آباءهم، ورفضوا الاستجابة لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولسنة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتهموا من استدل بهما، وتمسك بهما؛ بأنه خارج عما عليه المسلمون.

إذ المسلمون في عرفهم: هم عباد القبور، متمسكون بالبدع والمحدثات الكفرية.

مع أن العذر بالجهل: إنما يكون في أحوال خاصة، مثل من يعيش في بلاد بعيدة عن

بلاد الإسلام، ولم يبلغه القرآن والسنة.

والثاني: يعذر بالجهل في بلاد الإسلام في الأمور الخفية، التي تحتاج إلىٰ إيضاح وبيان، وأما الأمور الظاهرة: كالتوحيد، والشرك، والمحرمات القطعية: "كالزنىٰ، والربىٰ، والميتة، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله، وما أجمع عليه أهل الإسلام، فهذا لا يُعذر به من بلغه الكتاب والسنة، علىٰ وجه يفهمه لو أراد الفهم، لأن الجهل ولله الحمد قد زال ببعثة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وتيسير العلم". اهـ

والحمد لله هذا هو الذي نحن عليه، فالحكم عندنا: أن من بلغه القرآن الكريم، والسنة المطهرة الثابتة عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بلاغًا تقوم به عليه الحجة، ثم استمر في شركه، فإنه لا يعذر بعد ذلك، وهذا معروف المهم أن المسألة تعود إلىٰ ما فصلناه، فمن أخذ بالقول: بعدم العذر بالجهل، لا يأتي إلىٰ تبديع، ولا إلىٰ تفسيق العاذرين.

ومن أخذ بالقول: بالعذر بالجهل، لا يأتي إلىٰ تبديع، ولا إلىٰ تفسيق الغير عاذرين بالجهل.

القول الفصل في العذر بالجهل

١- سَأَلْتُ إِلَهِي الْعَوْنَ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... أَقُومُ بِهَا مِنْ صَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلْ

٢- وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ إِنِّي بِغَيْرِهِ ... لَمُنْقَطِعٌ فِي حَالِ حِلٍّ وَمُرْتَحَلْ

٣- وَهَذَا مَقَالٌ فِيهِ حُكْمٌ مُفَصَّلٌ ... لِمَنْ كَانَ لِلشِّرْكِ الْمَحَقَّقِ قَدْ فَعَلْ

٤- فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ الْعَظِيمُ بِقَوْلِهِ ... وَفِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ بِالْحَقِّ قَدْ نَزَلْ

٥- وَلَمْ يُنْسَخِ الْحُكْمُ الْمُبَيِّنُ مُطْلَقًا ... وَيَظْهَرُ عَدْلُ اللهِ قُمْ حَقِّقِ الْجُمَلْ

٦- فَمَا كَانَ تَعْذِيبٌ مِنَ اللهِ رَبِّنَا ... لِقَوْمٍ طَغَوْا حَتَّى تَجِيءَ لَهُمْ رُسُلْ(١)

٧- لِتَبْلِيغِ دِينِ اللهِ قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ ... وَإِظْهَارِ حَقٍّ مِنْ يُعَانِدُهُ سَفَلْ

٨- فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا بِرَسُولِهِ ... إِلَى نَارِ تَعْذِيبٍ وَلَيْسَ بِمُنْتَقَلْ(٢)

٩- وَمَنْ لَمْ تَصِلْهُ دَعْوَةٌ كَانَ حَالُهُ ... اخْتِبَارًا بِيَوْمِ الْعَرْضِ حُكْمٌ لَنَا نَقَلْ

١٠- بِمُسْنَدِ شَيْبَانٍ إِمَامٌ قَدِ اهْتَدَى(٣) ... فَخُذْهَا هُدِيتَ الْخَيْرَ لَا تَبْتَغِ الْحِيَلْ

١١- وَكُلُّهُمُ فِي حُكْمِنَا صَارَ كَافِرًا ... وَمَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُمْ فَحُكْمٌ بِهِ نَزَلْ

١٢- يُكَذِّبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ وَرُسْلَهُ ... وَيَرْضَى بِطَاغُوتٍ فَبُعْدًا لِمَنْ سَفَلْ

١٣- وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللهَ رَبَّنَا ... شَهَادَةُ حَقٍّ قَالَهَا دُونَمَا خَجَلْ

١٤- وَلَكِنْ تَعَاطَى الشِّرْكَ وَالْكُفْرَ قَاصِدًا ... فَكُفْرٌ بِهِ قَدْ قَامَ لَا نَبْتَغِي الْجَدَلْ

١٥- وَأَحْدَاثُ عَهْدٍ يُعْذَرُونَ لِأَنَّهُم ... تَغَطَّوا رِدَاءَ الْجَهْلِ لَمْ يَعْلَمُوا الْجُمَلْ

١٦- دَلِيلٌ أَتَى فِي ذَاتِ نَوْطٍ (٤) بِلَا خَفَا ... فَهَلَّا قَرَأْتَ النَّصَّ مِنْ غَيْرِ مَا جَدَلْ

١٧- وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيخانِ فِي قَصَّةِ الَّذِي ... يَقُولُ بِأَنْ يَذْرُوهُ فِي السَّهْلِ وَالجَبَلْ

١٨- وفِي قولِهِ شَكٌّ بقدرةِ رَبِّه ... ولكنّهِ جهلٌ بهِ يُعذَرُ الزَلَلْ

١٩- فَتَابَ عليه اللهُ جَلَّ جلالُهُ ... وأَدْخَلَهُ الجناتِ مِنْ غيرِ ما عَمَلْ(٥)

٢٠- وَزِدْ يَا هَدَاكَ اللهُ مَنْ كَانَ قَابِعًا ... بِبَادِيَةٍ وَالْجَهْلُ فِيهِمْ وَمَا رَحَلْ

٢١- وَمَا كَانَ يَوْمًا مُعْرِضًا عَنْ تَعَلُّمٍ ... وَمَا كَانَ إِعْرَاضٌ عَنِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلْ

٢٢- فَكُفْرُ ذَوِي الْإِعْرَاضِ حُكْمُ إِلَهِنَا (٦) ... فَحَاذِرْ سَبِيلَ الشِّرْكِ شَرٌّ بِهِمْ نَزَلْ

٢٣- وَخُلْفٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي عُذْرِ جَاهِلٍ ... يُسَطِّرُهُ أَهْلُ الْعُلُومِ وَمَنْ نَقَلْ(٧)

٢٤- لَنَا عَنْهُمُ خَيْرُ الْمَذَاهِبِ سُطِّرَتْ ... فَلَا تُنْكِرِ الْمَعْرُوفَ أَوْ تَتْبَعِ الْهَزَلْ

٢٥- وأصلُ أصولِ الدينِ توحيدُ ربِّنا ... بإجماعِ أهلِ العلمِ أصلحْ لِذا الخَلَلْ

٢٦- وتَكْفِيرُ أهلِ الكفرِ حقٌّ مؤكدٌ ... وتَكْفِيرُ أهلِ الحقِ خطبٌ به جَلَلْ

٢٧- فَلَا تُكْفِرَنْ مَنْ كَانَ بِالْحَقِّ مُؤْمِنًا ... سَبِيلُ خُرُوجٍ فَاسِدٍ يُورِثُ الخَطَلْ

❁ ❁ ❁

الحاشية

(١) ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء:١٥] [الإسراء:١٥].

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّهُ قَالَ : «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» أخرجه مسلم (١٥٣).

(٣) عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ : « **أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ : رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ : رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ : رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ : رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ**

دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا ». رواه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في (المسند) رقم (١٦٣٠١).

(٤) عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:« أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا خَرَجَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ . يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **سُبْحَانَ اللهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» أخرجه الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٢١٨٩٧).

(٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ : أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرَ أَبٍ. قَالَ : فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ ؟ قَالَ : مَخَافَتُكَ. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**» البخاري (٣٤٧٨) ومسلم (٢٧٥٧).

(٦) ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [الأحقاف:٣].

(٧) وممن ذكر الخلاف في المسألة الإمام ابن عبد البر، والعلامة الشنقيطي، والإمام ابن عثيمين، وشيخنا العباد، وشيخنا الوادعي، وشيخنا الحجوري، وغيرهم رحم الله الجميع.

الرد الشعري على عبد الله الجربوع المفتري

سَلَامٌ عَلَىٰ نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدِ (١) وَإِنْ كَانَ تَسْلِيمِي عَلَىٰ الْبُعْدِ لَا يُجْدِي

سَلَامٌ عَلَىٰ أَهْلِ الْعُلُومِ جَمِيعِهِمْ (٢) سَأَلْتُ إِلَهِي الْعَوْنَ فِي الْفِعْلِ وَالْقَصْدِ

فَإِنَّا نُحِبُّ الْقَوْمَ مَنْ كَانَ نَهْجُهُ (٣) دُعَاءً إِلَىٰ التَّوْحِيدِ هَدْمًا لِذِي النِّدِّ

وَقَدْ كَانَ نَصْرُ اللهِ لِلدِّينِ جَهْرَةً (٤) بِدَعْوَتِهِمْ لِلْخَيْرِ فِي السَّهْلِ وَالنَّجْدِ

جَزَاهُمْ إِلَهِي بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا (٥) وَدَارِ جِنَانٍ إِذْ يَعِيشُونَ فِي السَّعْدِ

فَلَازِمْ أَخَا الْإِسْلَامِ تَوْحِيدَ رَبِّنَا (٦) وَحَاذِرْ مِنَ الْإِشْرَاكِ فِعْلًا لَهُمْ مُرْدِي

فَقَدْ وَفَّقَ الرَّحْمَنُ لِلْخَيْرِ وَالْهُدَىٰ (٧) فَمَذْهَبُنَا التَّوْحِيدُ فِي الْهَزْلِ وَالْجِدِّ

فَأَسْأَلُهُ الْإِخْلَاصَ فِي كُلِّ حَالَةٍ (٨) وَأَسْأَلُهُ التَّثْبِيتَ إِنْ ضَمَّنِي لَحْدِي

عَزَمْتُ عَلَىٰ صَدِّ الْبُغَاةِ جَمِيعِهِمْ (٩) بِشِعْرٍ فَإِنَّ الشِّعْرَ لِلشَّرِّ قَدْ يُرْدِي

بِهِ أَمَرَ الْمُخْتَارُ حَسَّانَ ثَابِتٍ (١٠) بِهِ يثْلِبُ الأَشْرَارَ، حَقًّا لَهُمْ يُبْدِي

جِهَادُ دُعَاةِ الْبَغْيِ أَمْرٌ لِرَبِّنَا (١١) فَخُذْ يَا أَخِي فِي اللهِ وَاحْذَرْ مِنَ الصَّدِّ

وَتَكْفِيرُ أَهْلِ الْكُفْرِ حُكْمٌ لِرَبِّنَا (١٢) وَلَا نَرْتَضِي الْإِشْرَاكَ نَلْقَاهُ بِالنَّقْدِ

نَبِيْنْ عَوَارَ الْقَوْمِ عُبَّادِ قَبْرِهِمْ (١٣) وَنَكْفُرُهُمْ عِنْدَ الْعُمُومِ بِلَا رَدِّ

وَرَاجِعْ لِهَذَا الْقَوْلِ مَا سَطَّرَ الْأُلَىٰ (١٤) كَشَيْخِ لِإِسْلَامِ، وَحَاذِرْ مِنَ الْبُعْدِ

وَتَكْفِيرُهُمْ بِالْعَيْنِ أَيْضًا نَقُولُهُ (١٥) بِضَابِطِهِ بُعْدًا لِدَاعٍ إِلَىٰ النِّدِّ

وَفَرْقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ قَوْلِ ابْنِ جَرْجِيسٍ (١٦) وَقَوْلِ دُعَاةِ الْحَقِّ وُفِّقْتَ لِلرُّشْدِ

وَقَدْ قَامَ جَرْبُوعٌ بِبَغْيٍ وَفِتْنَةٍ (١٧) عَلَىٰ دَعْوَةِ الْأَخْيَارِ بِالضَّرْبِ وَالْهَدِّ

فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا فَلَسْتَ بِأَهْلِهَا (١٨) وَنَاوَلْتُهُ طَعْنًا يَقُومُ بِهِ زِنْدِي

فَخَـــرَّ صَـــرِيعًا؛ إِنَّـــه عَـــوْنُ رَبِّنَـــا (١٩) وَخَـــارَتْ قُـــوَاهُ، إِنَّ رَبِّـــي لَـــهُ حَمْـــدِي

زَعَمْـــتَ أَيَـــا جَرْبُـــوعُ زُورًا وَفِرْيَـــةً (٢٠) بِأَنَّـــا إِلَـــىٰ الْإِرْجَـــاءِ وَالْكُفْـــرِ وَالصَّـــدِّ

لَقَـــدْ قُلْـــتَ زُورًا يَـــا شَـــبِيهَ خَـــوَارِجٍ (٢١) فَقُـــبِّحَ هَـــذَا الْقَـــوْلُ بُهْتًـــا لَـــهُ تُبْـــدِي

فَكَانَـــتْ مِـــنَ اللهِ الْعَظِـــيمِ إِدَالَـــةً (٢٢) عَلَيْـــكَ فَمُـــتْ بِـــالْغَيْظِ لَا تَبْتَـــغِ وِرْدِي

فَهَـــلَّا سَـــلَكْتُمْ مَسْـــلَكَ الْعِلْـــمِ وَالْهُـــدَىٰ (٢٣) وَتَابَعْـــتَ أَهْـــلَ الْعِلْـــمِ فِـــي الْحُكْـــمِ وَالـــرَّدِّ

وَلَكِنَّـــهُ طَـــيْشُ التَّعَـــامِي عَـــنِ الْهُـــدَىٰ (٢٤) سَـــلَكْتَ؛ فَعِـــشْ بِالصَّـــدِّ وَالطَّـــرْدِ وَالْبُعْـــدِ

وَهَـــلَّا أَبَنْـــتَ الْحَـــقَّ دُونَ تَـــنَقُّصٍ (٢٥) كَمَـــا سَـــلَكَ الْأَخْيَـــارُ فِـــي أَرْضِ ذِي النَّجْـــدِ

فَمَسْـــأَلَةُ الْأَعْـــذَارِ خُلْـــفٌ لِأَهْلِهَـــا (٢٦) فَمِـــنْهُمْ ذَوُو الْإِثْبَـــاتِ حُكْـــمٌ لِـــذِي الرُّشْـــدِ

لَهُـــمْ حُجَـــجٌ مِـــنْ وَحْـــيِ رَبِّـــي ذَكَرْتُهَـــا (٢٧) فَـــوَحْيُ إِلَـــهِ الْكَـــوْنِ جَـــلَّ عَـــنِ الـــرَّدِّ

وَمِـــنْهُمْ نُفَـــاةُ الْعُـــذْرِ بِالْجَهْـــلِ مُطْلَقًـــا (٢٨) أَئِمَّـــةُ عِلْـــمٍ قَـــوْلُهُمْ ظَـــاهِرٌ عِنْـــدِي

فَمَـــا كَفَّـــرُوا مَـــنْ خَـــالَفَ الْقَـــوْلَ وَارْتَمَـــىٰ (٢٩) وَلَا قَـــابَلُوا الْأَخْيَـــارَ بِالثَّلْـــبِ وَالطَّـــرْدِ

وَمَـــا زَالَ أَهْـــلُ الْعِلْـــمِ فِـــي الْخُلْـــفِ دَهْـــرَهُمْ (٣٠) مُصِـــيبٌ لَـــهُ أَجْـــرَانِ وَالْأَجْـــرُ لِلضِّـــدِّ

فَقُـــلْ مِثْلَمَـــا قَـــدْ قَـــالَ مَـــنْ كَـــانَ قَـــبْلَكُمْ (٣١) وَلَا تَكْفُـــرَنْ مَـــنْ كَـــانَ يَـــدْعُو إِلَـــىٰ الرُّشْـــدِ

وَأَمَّـــا ذَوُو الْإِعْـــرَاضِ فَـــالْكُفْرُ وَاقِـــعٌ (٣٢) عَلَـــيْهِمْ بِحُكْـــمٍ وَاحِـــدٍ ثَابِـــتٍ طَـــرْدِي

حَكَمْـــتَ لِأَهْـــلِ الْكُفْـــرِ بِالْجَنَّـــةِ الَّتِـــي (٣٣) أُعِـــدَّتْ لِـــذِي الْإِيمَـــانِ، قَـــوْلٌ لَكُـــمْ مُـــرْدِي

أَحَلْـــتَ إِلَـــىٰ الْأَشْـــرَارِ فِـــي ضِـــمْنِ كُتْبِكُمْ (٣٤) فَـــأَيْنَ سَـــبِيلُ النُّصْـــحِ فِـــي الْعِلْـــمِ وَالـــرَّدِّ

تَنَاقُضُـــكُمْ هَـــذَا يَـــدُلُّ دَلَالَـــةً (٣٥) عَلَىٰ الْمَيْلِ وَالْإِجْحَافِ وَالْحَيْفِ فِي النَّقْدِ

فَحَمْـــدًا لِرَبِّـــي إِذْ أَبَـــانَ عَـــوَارَكُمْ (٣٦) فَتُوبُـــوا إِلَـــىٰ الـــرَّحْمَنِ هَـــذَا الَّـــذِي عِنْـــدِي

الخاتمة

فهذا: عبارة عن تذفيف يسير، علىٰ هذا الرجل الذي حقر نفسه، بسلوك هذه المذهب الرديء، والطعن في أهل السنة الأثبات الذين ينافحون عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، ويناضلون علىٰ نشر سنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالنصيحة: لإخواني السلفيين: "في اليمن، وفي غيرها من البلدان"، أن يلازموا الإنصاف، في أقوالهم، وأفعالهم، ومعتقداتهم؛ فإن الأنصاف عزيز.

وقَالَ عَمَّارٌ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ-: **"ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: "الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ"** علقه البخاري في كتاب الإيمان.

فنحن بحمد الله عَزَّوَجَلَّ: لا نبدع، ولا نفسق، ولا نكفر؛ إلا من بدعه الدليل، وفسقه الدليل، وكفره الدليل، وبالنسبة للمسائل الخلافية: "بين أهل السنة والجماعة؛ تبقىٰ خلافية، لا نكفر فيها، ولا نبدع، ولا نفسق، فمن قال بكفر تارك الصلاة: فهذا هو قولنا، وهو فتوانا، وهو تأليفنا، وهو تصنيفنا، ومن قال بعدم كفر تارك الصلاة: فلا نقول فيه بأنه من أهل الإرجاء أبدًا؛ لأن المسألة قد خاض فيها العلماء قديمًا وحديثًا، ولا يوجد أحد من أهل العلم: من اتهم الآخر بالإرجاء، وكذلك: في مسألة العذر بالجهل، فمن قال: بالعذر بالجهل: لم نبدعه، ولم نكفره، ولم نفسقه، ومن قال: بعدم العذر بالجهل: لم نبدعه، ولم نكفره، ولم نفسقه، وهذا: علىٰ الضوابط التي ذكرناها قبل.

فالمسألة تمشي علىٰ أنها مسألة علمية، لا نخرج بها عن هذا الطور.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن مثل هذه المسائل: لا يفسق فيها، ولا يبدع فيها.

مثل مسألة: هل جميع من في الموقف يوم القيامة يرىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، أم إنما يراه المؤمنون فقط؟ فمن قال: بأن أهل الموقف كلهم يرون الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، فهؤلاء لا يبدعون، ولا يفسقون، ومن قال: يراه المؤمنون فقط في الموقف كذلك: لا يبدعون، ولا يفسقون؛ لأن المسألة: خلافية بين أهل العلم رحمة الله عليهم، وهكذا من قال: بأن النفس هي الذات، أو أن النفس صفة من صفات الذات، فإنه: لا يبدع، ولا يفسق؛ لأن المسألة فيها خلاف بين أهل العلم رحمة الله عليهم أجمعين.

فتبقىٰ المسائل الخلافية هي مسائل خلافية بين أهل العلم، وتبقىٰ المسائل الإجماعية: هي مسائل إجماعيه؛ لكن: لا بد أن ينظر في الإجماع، هل هو ثابت ويقيني، أم أنه غير ثابت، وإنما هو مجرد ادعاء فقط؛ لأن الإجماع: الذي يكفر تاركه، هو الإجماع الذي يقوم علىٰ النصوص الشرعية الواضحة.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"من أعيته الأمور ادعىٰ الإجماع"**.

فلا بد من النظر: إلىٰ هذه المسائل بعين البصيرة والنظر، وقد سمعتم بأننا بحمد الله عَزَّوَجَلَّ: نقلنا أقوالًا هي لنا، وأقوالًا هي علينا، ومع ذلك نحن مع ما بصرنا الله عَزَّوَجَلَّ به، وشرح به صدورنا، ثم لا نخالف: إجماع الأمة، وإجماع أهل السنة قديمًا وحديثًا.

سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك ربي وأتوب إليك.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المحتويات

المحتويات

المقدمة ٨

فصل بيان أن التوحيد هو أصل الدين ١١

فصل: فضل التوحيد ١٥

فصل: من لازم توحيد الله عَزَّوَجَلَّ تكفير من خالفه، ومن ناقضه. ٣٣

فصل: بيان بما يكون الكفر ٣٦

بيان شرح قاعدة: "من لم يكفر الكافر، أو يشك في كفره؛ فهو كافر ٣٧

فصل بيان خيانة عبد الله الجربوع ٤٥

السبب الداعي إلىٰ الرد علىٰ الجربوع ٤٩

فصل: أهم أدلة العذر بالجهل من الكتاب والسنة. ٥٠

بيان كلام أهل العلم رحمة الله عليهم في مسألة العذر بالجهل ٥٣

بيان نصوص صريحة في العذر بالجهل عن الإمام المجدد ٦١

بيان الخلاف في أبوي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ٦٦

الإيلاف في بيان أن مسألة العذر بالجهل من مسائل الخلاف..... ٦٩

بيان كلام أهل العلم في صفة قيام الحجة ٨٠

القول الفصل في العذر بالجهل ٨٨

الرد الشعري علىٰ عبد الله الجربوع المفتري ٩١

الخاتمة ٩٣